لمحات من ألوان التفسير

وإتجاهاته قديماً وحديثاً

إعـــداد

د/ وليد مساعد الطبطبائى

كلية الشريعة - جامعة الكويت

قسم التفسير والحديث

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونتوب إليه ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له وأشهد أن لاإله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله .

□ ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولاتموتن إلا وأنتم مسلمون .

﴿ياأيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيراً ونساء واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام إن الله كان عليكم رقيباً، ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولا قولاً سديداً يصلح لكم أعمالكم ويغفر لكم ذنوبكم ومن يطع الله ورسوله فقد فاز فوزاً عظيماً﴾.

أما بعـــــد :

□ فإن خير الحديث كتاب الله، وخير الهدى هدى محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار .

□ لقد ضربت هذه الأمة الأمثال العظيمة بعنايتها الفائقة بكتاب الله عز وجل، فكثر المصنفون، وانهمرت المتون، وورثنا عن السابقين تراثاً هائلاً يدل دلالة قاطعة علي تلك العناية بهذا الكتاب العظيم .

□ والمتدبر لكتاب الله عز وجل يلمس بشكل واضح شموله لجميع احتياجات الناس فى مختلف عصورهم، وتلوين الفهوم لآياته وتنويع الاستنباط من دلالاته، وعلى الأخص فى الآيات المتعلقة بالإنسان والكون والحياة.

□ وهذا البحث يتناول الألوان والإتجاهات التى طرأت علي التأليف فى التفسير، والتى كان لبعضها جوانب إيجابية ساهمت فى خدمة كتاب الله، وفى الوقت ذاته كانت هناك جوانب سلبية عديدة لهذه الألوان والإتجاهات من مثل: تطويع، النصوص قسراً كما فى تفاسير الطوائف لنصرة آراء هذه المذاهب، ومن مثل: الاستطراد والتوسع الذى أدى إلى دخول المفسر فى تفريعات قد لايكون لبعضها تعلق أصلاً بالنص القرآنى ذاته المراد تفسيره .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

□ وفى هذا البحث حرصت أن أعرض لبعض إتجاهات التفسير التى وصلت إلينا فى المرحلة الأخيرة من تطور التأليف في التفسير وتدوينه، كما سيأتى فى التمهيد، وقمت بإيراد أنموذج لكل إتجاه من كتب التفسير، وقد إنتجهت فى ذلك مسلك الإيجاز، وتبسيط المعلومة وسهولة العبارة وقد جمعت بين الإيجاز وسهولة العبارة حتى يستفيد جميع الباحثين، فى هذا العلم الجليل، على إختلاف مستوياتهم .

□ *هذا وأسأل الله أن يتقبل هذا العمل، وأن يبارك فيه إنه نعم المولى ونعم النصير .*

د. **وليد مساعد الطبطبائى**

الكويت

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تمهيد ومدخل

تطور تدوين التفسير حتى ظهور مرحلة تلون التفسير بالعلوم :

انقضى عهد الصحابة والتابعين وكانت همة علمائهم متجهة إلى نشر علم التفسير بالرواية والتلقين لابالكتابة والتدوين .

❐ وبعدالتابعين جاء أتباع التابعين فبدأوا بتأليف المصنفات التى تجمع أقوال الصحابة والتابعين في التفسير، وتبدأ هذه المرحلة عند نهاية القرن الأول وبداية القرن الثانى، وقد مر تدوين التفسير بمراحل وخطوات متعددة، لكل منها مميزاتها الخاصة :

أولاً: مرحلة تدوين التفسير مع الحديث :

كانت بداية «عصر التدوين» بتدوين الحديث الشريف، وكانت «أبواب الحديث متنوعة، وكان التفسير باباً من هذه الأبواب، ولم يفرد له تأليف خاص يفسر القرآن سورة سورة، وآية آية، بل وجد من العلماء من طوف من الأمصار المختلفة ليجمع الحديث، فجمع بجوار ذلك ماورى فى الأمصار من تفسير منسوب إلى النبى ﷺ، أو إلى الصحابة أو إلي التابعين»[1].

ومن هؤلاء الذين قاموا بتدوين التفسير «في هذه المرحلة على أنه باب من أبواب الحديث :

- يزيد بن هارون السلمى ت ١١٧ هـ .
- شعبة بن الحجاج ت ١٦٠ هـ .
- وكيع بن الجراح ت ١٩٧ هـ .
- عبد الرزاق بن همام ت ٢١١ هـ .
- عبد بن حميد ت ٢٤٩ هـ .

---

(١) الإتجاهات المنحرفة فى التفسير: د. محمد حسين الذهبى ص١٣، ١٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وغير هؤلاء، وتتميز هذه المرحلة بمزايا منها :

١ - كان لهم عناية خاصة بالإسناد .

٢ - لم يكن جمعهم للتفسير مستقلاً، بل على أنه باب من أبواب الحديث .

٣ - لم يقتصر على التفسير المرفوع للرسول ﷺ، بل اشتمل على تفسير الصحابى والتابعين»[١].

ثانياً: مرحلة استقلال التفسير عن الحديث :

وفيه أصبح التفسير علماً مستقلاً قائماً بنفسه «فوضع التفسير لكل آية من القرآن، ورتب ذلك على حسب ترتيب المصحف، وتم هذا العمل علي أيدى جماعة من العلماء»[٢]، نذكر منهم :

- ابن ماجة ت ٢٧٣ هـ .
- ابن جرير الطبرى ت ٣١٠ هـ .
- ابن أبى حاتم ٣٢٧ هـ .

وقد امتاز التدوين فى هذه المرحلة بـ :

١ - أن «هذه التفاسير بالإسناد إلى رسول الله ﷺ إلى الصحابة والتابعين وتابعيهم»[٣].

٢ - وهذه التفاسير «ليس فيها شئ يذكر في التفسير أكثر من التفسير المأثور اللهم إلا ابن جرير الطبرى فإنه ذكر الأقوال، ثم وجهها ورجح بعضها على بعض، وزاد على ذلك الإعراب إن دعت إليه حاجة، واستنبط الأحكام التى يمكن أن تؤخذ من النص القرآنى»[٤].

---

(١) بحوث فى أصول التفسير ومناهجه: د. فهد الرومى ص٣٥، ٣٦.

(٢) الإتجاهات المنحرفة فى التفسير: د. محمدحسين الذهبى ص١٤ .

(٣) المصدر السابق: ص١٤ .

(٤) المصدر السابق: ص١٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣ - وفيها «اتسعت رواية الإسرائيليات فدون الكثير منها ضمن التفسير»(١).

ثالثاً: مرحلة الروايات المحذوفة الأسانيد :

وتعتبر هذه المرحلة نقطة إنعطاف خطيرة فى تاريخ التفسير حيث تساهل فى هذه المرحلة المفسرون، «فحذفوا أسانيد الروايات. ونسبوا الأقوال إلى السابقين مباشرة، فاختلط الصحيح بالفاسد، وتعذر التمييز بين الأقوال، وتسرب إلى التفسير الدخيل، والموضوع المكذوب، وأباطيل بنى إسرائيل، والآراء الشاذة المنكرة»(٢).

رابعاً: مرحلة التفسير بالرأى :

وهذه المرحلة كالنتيجة الحتمية للمرحلة السابقة حيث «انفتح باب التفسير على مصراعيه فدخل منه الغث والسمين، والصحيح والعليل»(٣)، وقد امتدت هذه المرحلة «من العصر العباسى إلى يومنا الحاضر.. فبعد أن كان التفسير مقصوراً على رواية مانقل عن سلف هذه الأمة، وجدناه يتجاوز بهذه الخطوة إلى تدوين تفاسير اختلط فيها الفهم العقلى بالتفسير النقلى، وكان ذلك على تدرج ملحوظ، فقد بدأ أولاً على هيئة محاولات فهم شخصى وترجيح بعض الأقوال على بعض، وكان هذا أمراً مقبولاً مادام يرجع الجانب العقلى منه إلى حدود اللغة، ودلالة الكلمات القرآنية. ثم ظلت محاولات هذا الفهم الشخصى تزداد وتتضخم متأثرة بالمعارف المختلفة، والعلوم المتنوعة،

---

(١) بحوث فى أصول التفسير ومناهجه. د. فهد الرومى ص، ٣٧ .

(٢) المدخل إلى التفسير الموضوعى: د. عبد الستار فتح الله سعيد ص١٥ .

(٣) بحوث فى أصول التفسير ومناهجه: د. فهد الرومى ص٣٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

والآراء المتشعبة، والعقائد المتباينة، حتى وجد من كتب التفسير مايجمع أشياء كثيرة، لاتكاد تتصل بالتفسير إلا عن بعد عظيم»[١].

خامساً: مرحلة تلون التفسير بالعلوم المختلفة :

يقول الحافظ السيوطى عن هذه المرحلة: «ثم صنف بعد ذلك قوم برعوا في علوم، فكان كل منهم يقتصر في تفسيره علي الفن الذى يغلب عليه: فالنحوى تراه ليس له هم إلا الإعراب وتكثير الأوجه المحتملة فيه، ونقل قواعد النحو مسائله وخلافياته: كالزجاج، والواحدى في البسيط، وأبي حيان في البحر والنهر .

❐ (والإخبارى) ليس له شغل إلا القصص واسيفاءها والإخبار عمن سلف سواء كانت صحيحة أو باطلة كالثعلبى .

❐ (والفقيه) يكاد يسرد فيه الفقه من باب الطهارة إلى أمهات الأولاد وربما استطرد فى إقامة أدلة الفروع الفقهية التى لاتعلق لها بالآية والجواب عن أدلة المخالفين كالقرطبى .

❐ (وصاحب العلوم) - خصوصاً الإمام فخر الدين الرازى - قد ملأ تفسيره بأقوال الحكماء والفلاسفة وشبهها وخرج من شئ إلى شئ، حتى يقضى الناظر العجب من عدم مطابقة المورد للآية، قال أبو حيان فى البحر: جمع الإمام الرازى فى تفسيره أشياء كثيرة طويلة لاحاجة بها فى علم التفسير، ولذلك قال بعض العلماء: فيه كل شئ إلا التفسير .

❐ والمبتدع ليس له قصد إلا تحريف الآيات وتسويتها على مذهبه الفاسد، بحيث أنه متى لاح له شاردة من بيد اقتنصها أو وجد موضعاً له فيه أدنى مجال سارع إليه، قال البلقينى: استخرجت من الكشاف اعتزالاً

---

(١) الإتجاهات المنحرفة فى التفسير: د. محمد حسين الذهبى ص١٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالمناقيش من قوله تعالى فى تفسير ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾[١]، وأى فوز أعظم من دخول الجنة. أشار به إلى عدم الرؤية .

□ (والملحد) فلا تسأل عن كفره وإلحاده فى آيات الله وافترائه على الله مالم يقله كقول بعضهم فى﴿ إن هى إلا فتنتك﴾[٢]: ماعلى العباد أضر من ربهم. وكقوله فى سحرة موسى ماقال: وقول الرافضة فى قوله تعالى: ﴿يأمركم أن تذبحوا بقرة﴾[٣]، ماقالوا، وعلى هذا وأمثاله يحمل ماأخرجه أبو يعلى وغيره عن حذيفة أن النبى ﷺ قال: «إن فى أمتى قوماً يقرؤون القرآن ينثرونه نثر الدقل يتأولونه على غير تأويله»[٤].

فهذه المراحل المذكورة السابقة هى أهم المراحل التى مر بها تدوين التفسير، إلا أنه مما يجدر التنبيه عليه «أن تتابع هذه المراحل لايعنى أن كل مرحلة منفصلة إنفصالاً تاماً عن المرحلة السابقة لها أو التالية، بل ظلت كل مرحلة موجودة في المرحلة أو المراحل التالية لها وقد توجد لها نواة أو بذور فى المرحلة السابقة لها أيضاً»[٥].

وفيما يأتى عرض لبعض إتجاهات وألوان التفسير المختلفة. وإنموذج لكل لون وإتجاه منها .

---

(١) آل عمران: ١٨٥ .

(٢) الأعراف: ١٥٥ .

(٣) البقرة: ٦٧ .

(٤) الإتقان فى علوم القرآن: الحافظ السيوطى ١/١٢١، ٢١٣ .

(٥) بحوث فى أصول التفسير ومناهجه: فهد الرومى ص٣٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الأول

الإتجاه العقائدى فى التفسير

إن غالب تفاسير الفرق الإسلامية المختلفة ترجع «إلى التفسير بالرأى، غير أنها تدخل فى النوع المذموم منه، لأن أصحابها لم يؤلفوها إلا لتأييد أهوائهم»[١]، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية: «وحدث طوائف من أهل البدع اعتقدوا مذهباً يخالف الحق، وعمدوا إلى القرآن فتأولوه على آرائهم، تارة: يستدلون بآيات القرآن على مذهبهم دلالة فيها، وتارة يتأولون مايخالف مذهبهم بما يحرفون به الكلم عن مواضعه، من هؤلاء فرق الخوارج والروافض والجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة وغيرهم»[٢].

أولاً: المعتزلة وموقفهم من التفسير :

المعتزلة: مدرسة من مدارس علم الكلام أنشأها واصل بن عطاء وعمر بن عبيد، سموا بذلك عقب إعتزالهما حلقة الحسن البصرى للتدريس.[٣]

أصولهم :

١ - التوحيد .

٢ - العـــدل .

٣ - المنزلة بين المنزلتين .

٤ - إنفاذ الوعد .

٥ - الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.[٤]

---

(١) مباحث فى علوم القرآن: د. صبحى الصالح ص٢٩٤ .

(٢) مقدمة فى أصول التفسير: ابن تيمية ص٣٤ .

(٣) انظر: معجم الفرق والمذاهب: د. إسماعيل العربى ص٣٤٢ .

(٤) انظر.مقدمة فى أصول التفسير: ابن تيمية ص، ٥٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

□ وليكن معلوماً أن هذه الأصول الخمسة فى مفهومها، ومايترتب عليها «ليست موضع اتفاق مع مذهب أهل السنة والجماعة»[١] لذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية بعد أن عدد أصول المعتزلة الخمسة: «لكن معنى (التوحيد) عندهم يتضمن نفي الصفات، ولهذا سمى ابن التومرت أصحابه الموحدين، وهذا إنما هو إلحاد فى أسماء الله وآياته.

□ ومعنى (العدل) عندهم يتضمن التكذيب بالقدر، وهو خلق أفعال العباد، وإرادة الكائنات، والقدرة على شئ، منهم من ينكر تقدم العلم والكتاب، لكن هذا قول أئمتهم، وهؤلاء منصب الزمخشرى، فإن مذهب المغيرة بن على وأبى هاشم وأتباعهم. ومذهب أبى الحسن - والمعتزلة الذين على طريقته - نوعان: مشايخية وخشبية.

□ وأما (المنزلة بين المنزلتين) فهى عندهم أن الفاسق لايسمى مؤمناً بوجه من الوجوه، كما لايسمى كافراً، فنزلوه بين منزلتين.

□ و(إنفاذ الوعيد) عندهم معناه أن فساق الملة مخلدون فى النار، لايخرجون منها بشفاعة ولاغير ذلك كما تقول الخوارج.

□ و(الأمر بالمعروف)، والنهى عن المنكر) يتضمن عندهم جواز الخروج على الأئمة، وقتالهم بالسيف»[٢].

□ وقد قام المعتزلة بالرجوع إلى القرآن ليدللوا به على رأيهم، وليدفعوا به حجرة خصومهم، وكان «التأويل باباً يلجون منه إلي تقليب أوجه دلالة القرآن على مايريدونه من المعانى وأعانهم رسوخ قدمهم فى علم العربية، وطول باعهم في العلوم الحكمية أن يبلغوا من التأويل مبلغاً عجيباً، حملهم على الغرور بإدعائهم أن آلة التأويل وقف عليهم، ولايحسن غيرهم أن

---

(١) دراسات حول القرآن الكريم: د. إسماعيل الطحان ص٢٧٤.

(٢) مقدمة فى أصول التفسير: ابن تيمية ص٥٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يتعاطها، وقد أوردتهم العصبية المذهبية مسالك التعسف في التأويل كلما كانت ظواهر النصوص تصادم مذاهبهم الإعتقادية كالتنزيه المطلق، والعدل، وحرية الإرادة وفعل الأصلح وماإلى ذلك»[١].

□ والمتفحص لطبقات المفسرين «يجد بينهم مفسرين من المعتزلة من أمثال أبى بكر ابن الأصم ت (٢٤٠ هـ)، والجبائى ت (٣٠٣هـ)، وأبي القاسم البلخى ت (٣١٩هـ) وأبى هاشم بن أبى على الجبائى ت (٣٢١هـ)، وأبى مسلم الأصفهانى ت (٣٢٢هـ)، وأبى الحسن الرمانى ت (٣٨٤هـ)، وعبيد الله بن جرو الأسدى ت (٣٨٧هـ) والقاضى عبد الجبار ت (٤١٥هـ)، والشريف المرتضى ت (٤٣٦هـ) وعبد السلام القزوينى ت (٤٨٣هـ)، وأبى القاسم بن عمر الزمخشرى ت (٥٣٨هـ).

□ وتصدى أهل السنة لنقد آرائهم فى التفسير، فتناولها ابن قتيبة ت (٢٧٦هـ) بالتفنيد والنقد اللاذع في كتابه (تأويل مختلف الحديث).

□ ورد كثيراً منها ابن جرير الطبرى ت (٣١٠هـ) فى تفسيره. وجاء أبو الحسن الأشعرى إمام أهل السنة ت (٣٢٤هـ) فأنشأ الطريقة السنية الكلامية ينقض بها مذهب المعتزلة. ومنذ ذلك الحين بدأ أهل السنة يجاذبون المعتزلة أعنة البحث والنظر، ويداولونهم ميادين الكلام والتأويل، بتمكنهم من علم الكلام، وانتزاعهم زمام فن البلاغة علي يد الإمام السنى عبد القاهر الجرجانى ت (٤٧١هـ) فردوا بمحامل القرآن الصحيحة تعسف المعتزلة فى التأويل.

□ وشهد القرن الخامس الهجرى لأعلام المفسرين من أهل السنة جولة ظاهرة فى النقد والتقويم استكان لها المعتزلة ولم يبدوا حيالها سوى ماكان من أمر الزمخشرى فى كشافه من دفاع عن تراث موروث»[٢].

وفيما يأتى وقفة مع أحد كتب المعتزلة في التفسير وأشهرها على الإطلاق وأكثرها إنتشاراً وتداولاً، وهو تفسير الكشاف للزمخشرى.

---

(١) دراسات حول القرآن الكريم: د. إسماعيل الطحان ص، ١٧٤.

(٢) المصدر السابق: ص١٧٤، ١٧٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

كتاب: الكشاف عن حقائق التنزيل للزمخشري
(٤٦٧ - ٥٣٨ هـ)

التعريف بالمؤلف :

هو: محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي الزمخشري، جار الله أبو القاسم: من أئمة التفسير واللغة والأدب، ولد في (زمخشر) من قرى خوارزم، وسافر إلى مكة فجاور بها زمناً، وتنقل في البلدان، ثم عاد إلى (الجرجانية) من قرى خوارزم فتوفي بها، كان معتزلي المذهب له العديد من المصنفات[١].

التعريف بالكتاب :

يعتبر تفسير الكشاف من أجل كتب التفسير لولا مااشتمل عليه تفسيره من عقائد المعتزلة التي كان يدسها دساً لايتنبه إليها إلا الحاذق الماهر، يقول جلال الدين البلقيني: «استخرجت من الكشاف اعتزالاً بالمناقيش من قوله تعالى في تفسير ﴿فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز﴾[٢]، وأي فوز أعظم من دخول الجنة، أشار به إلى عدم الرؤية»[٣] وإلى ذلك يشير شيخ الإسلام ابن تيمية: «ومن هؤلاء من يكون حسن العبارة، فصيحاً ويدس البدع في كلامه وأكثر الناس لايعلمون كصاحب الكشاف»[٤].

طريقة الزمخشري في تفسيره :

١ - يبدأ تفسير السورة فيذكر اسمها وعدد آياتها وقد يبين سبب نزولها .

٢ - ثم يأخذ ببيان معناها آية آية وفقرة فقرة .

---

(١) الإعلام: الزركلي ١٧٨/٧ .

(٢) آل عمران: ١٨٥ .

(٣) الإتقان في علوم القرآن: الحافظ السيوطي ٥٣٩/٢، ٥٤٠ .

(٤) مقدمة في أصول التفسير: ابن تيمية ص٣٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣ - ويستعين على فهمها بالنحو واللغة والبلاغة .

٤ - ويبين نظم الآيات .

٥ - ويشير إلى المسائل الفقهية المستنبطة من الآية، وآراء العلماء فيها .

٦ - وهو يستعين بالمأثور إن لم يعارض مذهبه ولاسيما فى الأحكام الفقهية .

٧ - ويستعين أيضاً بالقراءات لتوضيح المعنى.(١)

مزايا تفسير الكشاف :

ذكر الزرقانى عدة مزايا لتفسير الكشاف هى :

١ - خلوه من الحشو والتطويل .

٢ - سلامته من القصص والإسرائيليات .

٣ - إعتماده فى بيان المعانى على لغة العرب وأساليبهم .

٤ - عنايته بعلمى المعانى والبيان والنكات البلاغية، تحقيقاً لوجوه الإعجاز.

٥ - سلوكه فيما يقصد إيضاحه طريقة السؤال والجواب كثيراً.(٢)

المآخذ على تفسير الكشاف :

من المآخذ الكبيرة على هذا التفسير انتصار مؤلفه لمذهب المعتزلة، لذا يقول الإمام ابن تيمية: «وأما (الزمخشرى) فتفسيره محشو بالبدعة، وعلي طريقة المعتزلة من إنكار الصفات، والرؤية، والقول بخلق القرآن، وإنكار أن الله مريد للكائنات، وخالق لأفعال العباد، وغير ذلك من أصول المعتزلة»(٣).

---

(١) انظر: مناهج المفسرين: د. مساعد مسلم، ص٢١٤ .

(٢) مناهل العرفان: الزرقانى ٢/ ٧٠ .

(٣) مقدمة فى أصول التفسير: ابن تيمية ص٥١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

هذا وقد استعان الزمخشري «بكل مافي وسعه لتثبيت مبادئ المعتزلة وأصولهم، فقد استعان بالبيان وأوجه المجاز في توجيه الآيات نحو هدفه أو توجيهها إذا كانت تعارض مذهبه. واستعان بالنحو وباللغة وحتى بالأحاديث الضعيفة ليتم ذلك»(١).

❐ ومن المآخذ على تفسير الكشاف إيراده للأحاديث الموضوعة في فضائل السور في آخر تفسير كل سورة .

ثانياً: الشيعة وموقفهم من التفسير :

الشيعة: «اسم عام لعدد كبير من الفرق والطوائف الموالية للخليفة الرابع، علي بن أبي طالب وجميعها تقول بأنه هو وذريته أولى بالخلافة والإمامة بعد النبي ﷺ. وقد تشيع الكثيرون، ولاسيما من الموالى في العصر الأموى بسبب التفرقة العنصرية التى كانوا يحسون بها، فكان منهم مخلصون لقضية على وأبنائه، وآخرون لم يحملهم علي التشيع سوى كرههم للأمويين. وكذلك تسربت إلى الشيعة عناصر كانت تسعى إلى تخريب الإسلام إنتقاماً لتقويضه دعائم ملك الفرس .

❐ ونتيجة لاختلاف الأجناس والأهواء بين العناصر التى تتكون منها الشيعة، كان من المحتم أن تتفجر هذه العقيدة وينقسم؟ أتباعها إلي عدد لايكاد يحصى من الفرق والطوائف التى بلغ الغلو والتطرف ببعضها حداً أخرجها عن حظيرة الإسلام كلية. ومعظم فرق الشيعة مندثرة أو هى ضئيلة الأهمية، ولكن فرقتين منهما لاتزالان لهما قوة وحيوية واتباع كثيرون فى عصرنا هذا وهما: الإمامية والزيدية»(٢).

---

(١) مناهج المفسرين: د. مساعد مسلم ص، ٢١٥ .

(٢) معجم الفرق والمذاهب الإسلامية د. إسماعيل العربى ص٢٤٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشيعة والتفسير :

يذكر الدكتور الذهبى - وهو باحث متبحر فى ميدان التفسير: أن «للشيعة على اختلاف مذاهبها آثار في تفسير القرآن الكريم ولكن أكثرها أثراً فرقة الإمامية الإثنى عشرية، وهم الذين يقولون بأن النبى ﷺ نص على إمامة على من بعده وأن الإمامة انتقلت من على إلى إبنه الحسن بالوصية من أبيه، ثم إلى الحسين، ثم إلى إبنه على زين العابدين، ثم إلى إبنه محمد الباقر ثم إلى إبنه جعفر الصادق، ثم إلى إبنه موسى الكاظم، ثم إلى إبنه على الرضا، ثم إلى إبنه محمد الجواد، ثم إلى إبنه على الهادى، ثم إلى إبنه الحسن العسكرى، ثم إلى إبنه محمد المهدى المنتظر، وهو الإمام الثانى عشر، ويزعمون أنه دخل سرداباً فى دار أبيه بسر من رأى[1] وأنه سيخرج فى آخر الزمان ليملأ الدنيا عدلاً وأمناً، كما ملئت ظلماً وخوفاً .

❐ وهؤلاء قد جاوزوا الحد فى تقديسهم للأمة، فزعموا أن الإمام له صلة روحية بالله كصلة الأنبياء، وقالوا: أن الإيمان بالإمام جزء من الإيمان بالله، وأن من مات غير معتقد بالإمام، فهو ميت على الكفر .

وللإمامية الإثنى عشرية تعاليم، أشهرها العصمة، والمهدية، والرجعة، والتقية.

❐ أما العصمة: فيقصدون بها عصمة أئمتهم من الصغائر والكبائر، ولايجوز عليهم شئ من الخطأ أو النسيان .

وأما المهدية: فيقصدون منها الإمام المهدى المنتظر، الذى اختفى فى سرداب بسامراء، والذى سيخرج فى آخر الزمان ليملأ الأرض عدلاً وأمناً .

❐ وأما الرجعة: فهى عقيدة لازمة لفكرة المهدية، معناها: أنه بعد ظهور المهدى المنتظر، يرجع النبى ﷺ إلى الدنيا، ويرجع على، وسائر الأئمة

---

(١) وهى البلدة المعروفة الآن بـ(سامراء) بالعراق شمال بغداد .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الإثنى عشر، كما يرجع خصومهم كأبى بكر وعمر، فيقتص للأئمة من خصومهم، ثم يموتون جميعاً ثم يحيون يوم القيامة .

□ وأما التقية: فمعناها المداراة والمصانعة، وهى مبدأ أساسى عندهم، وجزء من الدين، يدعون لإمامهم المختفى، ويظهرون الطاعة لصاحب السلطان، فإذا قويت شوكتهم أعلنوها ثورة مسلحة فى وجه الدولة الظالمة .

□ وإذا تتبعنا تراث الإمامية الإثنى عشرية فى التفسير، وجدنا لهم فيها مصنفات كثيرة... دونت قديماً وحديثاً، وكلها يدور حول تركيز عقيدتهم، مع اختلاف بينها فى الغلو والإعتدال»(٢).

وفيما يأتى وقفة سريعة مع أحد تفاسير الإمامية :

كتاب: مجمع البيان فى تفسير القرآن: للطبرسى (٤٧٢-٣٣٨ هـ)

التعريف بالمؤلف :

هو: الفضل بن الحسن بن الفضل الطبرسى، أبو على المشهدى: ولد بطبرستان، وتتلمذ على مشايخ كبار، وكان له مقام جليل بين علماء الشيعة، وتتلمذ على يديه عدد كبير منهم، خلف بضعة وعشرين كتاباً(٢).

التعريف بالتفسير :

كتاب (مجمع البيان لعلوم القرآن) كما سماه مؤلفه أو (مجمع البيان فى تفسير القرآن) كما تشير إلى ذلك النسخ المطبوعة «كتاب جليل تناول فيه تفسير آيات القرآن واستخراج معانيها وأحكامها الفقهية وفق المذهب

---

(١) وهى البلدة المعروفة الآن بـ(سامراء) بالعراق شمال بغداد .

(٢) الاتجاهات المنحرفة فى التفسير: د. محمد حسين الذهبى ص٥٤، ٥٥ .

(٣) مناهج المفسرين: د. مساعد مسلم ص١٦١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الشيعى، استمده من تفسير (التبيان) لشيخ الطائفة الطوسى، لكنه فاق عليه في الترتيب والتهذيب والاختصار»[١].

ويمثل هذا التفسير (مجمع البيان) آراء معتدلى الإمامية الإثنى عشرية:

طريقة الطبرسى في تفسيره :

فى مقدمة تفسيره يشرح الطبرسى منهجه فى تفسيره فيقول :

١ - قدمت فى فى مطلع كل سورة ذكر مكيها ومدنيها، ثم الاختلاف فى عدد آياتها .

٢ - ثم أقدم فى كل آية الاختلاف فى القراءات .

٣ - ثم أذكر العلل والاحتجاجات .

٤ - ثم أذكر العربية واللغات .

٥ - ثم أذكر الإعراب والمشكلات .

٦ - ثم أذكر الأسباب والنزولات .

٧ - ثم أذكر المعانى والأحكام والتأويلات والقصص والجهات .

٨ - ثم أذكر انتظام الآيات.[٢]

مزايا تفسير الطبرسى :

يقول الدكتور الذهبى: «والحق أن تفسير الطبرسى -بصرف النظر عما فيه من نزعات تشيعية وآراء اعتزالية - كتاب عظيم فى بابه، يدل على تبحر صاحبه فى فنون مختلفة من العلم والمعرفة. والكتاب يجرى على الطريقة التى أوضحها لنا صاحبه، فى تناسق تام وترتيب جميل، وهو يجيد في كل ناحية من النواحى التي يتكلم عنها، فإذا تكلم عن القراءات ووجوهها أجاد، إذا تكلم

---

(١) المصدر السابق: ص١٦١ .

(٢) التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبى ٢/٩٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

عن المعانى اللغوية للمفردات أجاد، وإذا تكلم عن وجوه الإعراب أجاد، وإذا شرح المعنى الإجمالى أوضح المراد، وإذا تكلم عن أسباب النزول وشرح القصص استوفى الأقوال وأفاض، وإذا تكلم عن الأحكام تعرض لمذاهب الفقهاء، وجهر بمذهبه ونصره إن كانت هناك مخالفة منه للفقهاء، وإذا ربط بين الآيات آخرى بين الجمل، وأوضح لنا عن حسن السبك وجمال النظم، وإذا عرض مشكلات القرآن أذهب الإشكال وأراح البال. وهو ينقل أقوال المفسرين معزوة لأصحابها، ويرجح ويوجه مايختار منها»(١).

المآخذ على تفسير الطبرسى :

من المآخذ التى تؤخذ علي تفسير الطبرسى «تشيعه لمذهبه وانتصاره له، حمل كتاب الله علي مايتفق وعقيدته، وتنزيله لآيات الأحكام على مايتناسب مع الاجتهادات التى خالف فيها هو من على شاكلته، وروايته لكثير من الأحاديث الموضوعة. غير أنه - والحق يقال - ليس مغالياً فى تشيعه، ولامتطرفاً فى عقيدته، كما هو شأن كثير من غيره من علماء الإمامية الإثنى عشرية»(٢).

❐ والطبرسى رغم اعتداله - ونقصد باعتداله أنه لم يكفر الصحابة رضى الله عنه، ولم يرفع علياً رضى الله عنه إلي مرتبة الإله والأنبياء - فهو يدافع عن عقائد الشيعة فيحاول مثلاً أن يستخلص النص على إمامة على رضى الله عنه من القرآن (عند تفسيره الآية ٥٥ من سورة المائدة) ويحاول إثبات عصمة الأئمة (عند تفسيره للآية ٣٣ من سورة الأحزاب) ﴿**إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً**﴾ ويحاول أن يقصر أهل البيت على النبى ﷺ وفاطمة والحسن والحسين «ليصل إلى عصمة

---

(١) المصدر السابق: ٢/٩٨، ٩٩.

(٢) المصدر السابق: ٢/٩٩.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأئمة مع قيام الأدلة على أن الكلام سابقاً ولاحقاً موجه إلى نساء النبى ﷺ»[١].

وهو أيضاً يحاول إثبات الرجعة عند تفسيره الآية ٥٦ من سورة البقرة ﴿ثم بعثناكم من بعد موتكم لعلكم تشكرون﴾ ويحاول الإستدلال - أيضاً على غيبة المهدى وخروجه عند تفسيره، قوله تعالى ﴿الذين يؤمنون بالغيب﴾[٢]، ويقرر فى تفسيره للآية ٢٨ من سورة البقرة جواز التقية فى أحوال عديدة. هذا فضلاً عن دفاعه وتعصبه لفقه الشيعة فى مسائل زواج المتعة والسمح على الرجلين، ونكاح الكتابيات وغير ذلك .

□ هذا بالإضافة إلى إيراده شيئاً من التفسير الباطنى الذى ينتشر عند الشيعة، «وهو إن كان ناقلاً إلا أنه لايرد عليه بل فى بعض الأحيان يؤيده بكلامه كالذى نقله فى تفسيره قوله ﴿مرج البحرين يلتقيان بينهما برزخ لايبغيان﴾[٣] من أن البحرين على وفاطمة عليهما السلام بينهما برزخ محمد يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان الحسن والحسين عليهما السلام، ثم قال معقباً علي ذلك: «ولاغرو أن يكونا بحرين لسعة فضلهما وكثرة خيرهما...» وكالذى نقله فى تفسير قوله تعالى: ﴿الله نور السماوات والأرض...﴾[٤]، مما ينسبونه إلى أبى جعفر الباقر فى قوله: ﴿كمشكاة فيها مصباح﴾ قال: نور العلم فى صدر النبى ﷺ ﴿المصباح في زجاجة﴾ الزجاجة صدر على.. إلى أن يقول: ﴿نور على نور﴾ أى إمام مؤيد بنور العلم والحكمة فى إثر إمام.. ثم عقب على ذلك بما يحقق هذه الجملة عنده فانظره»[٥].

---

(١) مناهج المفسرين: د. مساعد مسلم ص١٦٢ .

(٢) البقرة: ٣ .

(٣) الرحمن: ١٩، ٢٠ .

(٤) النور: ٣٥ .

(٥) المصدر السابق: ص١٦٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ثالثاً: الأباضية وموقفهم من التفسير :

الأباضية: فرقة من فرق الخوارج تتصف بالإعتدال - قياساً على بقية الفرق - وهذا الإعتدال هو الذى مكن المذهب من الإستمرار إلى يومنا هذا .

☐ وتلتقى أصولهم فى العقيدة كثيراً مع المعتزلة - وإن كانوا يخالفونهم فى بعض المسائل. ويختلف الإباضية كلياً عن أهل السنة والجماعة فى موضوع الإيمان بالأسماء والصفات، وفى حقيقة الإيمان، وفى حكم مرتكب الكبيرة، وعصاة المؤمنين يوم القيامة .

☐ كما يختلف الأباضية عن أهل السنة والجماعة فى بعض جوانب عقيدة (السمعيات) إلا أن جوانب كثيرة منها تلتقى مع عقيدة أهل السنة والجماعة، مثل الإيمان بالملائكة والكتب والرسل والبعث والحساب والحوض والجنة والنار والاستطاعة ولكن يتجه منهجهم إلى التأويل فى اعتقاد الميزان والصراط والشافعة للعصاة .

☐ وكذلك الحال فى مسألة الإيمان فإن الإباضية يوجبون نصب إمام، غير أنهم لايشترطونه من قريش .

☐ ويتسم الفقه عندهم بنوع من التشدد والتزام النصوص - بخلاف العقيدة التى يعمل فيها بالعقل كثيراً - إلا أن فقههم لايختلف كثيراً عن مذاهب أهل السنة .

تسمية المذهب :

تعود تسمية المذهب إلى «عبد الله بن أباض بن ثعلبة التميمى من بنى مرة بن عبيد بن رهط الأحنف بن قيس كان فى زمان معاوية بن أبى سفيان وعاش إلى زمان عبد الملك بن مروان»[١].

---

(١) العقود الفضية فى أصول الأباضية: سالم بن حميد الحارثى ص١٥.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ وأغلب مصادر المقالات ومدونات الملل والنحل أباضية سواء كانت في معالجتها أو أشعرية أو اعتزالية أو سنية سلفية تكاد تجمع على أن نسبة التسمية «أباضى وأباضية» إلى: عبد الله بن أباض.(١)

موقف الإباضية من التفسير :

اتخذ مفسرو الأباضية من القرآن وسيلة لبيان مايعتقدونه أنه الحق، ويتصف الإباضية بالحماس الشديد فى الدفاع عن مذهبهم وعقيدتهم، وقد امتد هذا الحماس إلى كتاب الله عز وجل، لهذا نجد أن مفسرى الإباضية نقلوا حماسهم إلى ميدان التفسير، حيث أصبح القرآن الكريم وسيلة للإستدلال علي مايعتقدون أنه الحق، وبما أن القرآن جمال وجوه فإنهم لم يجدوا صعوبة فى الاستفادة من ذلك .

❐ ويصف أحد الباحثين فى مجال التفسير واحداً من المفسرين الأباضيين بما يؤكد ماذكرنا فيقول عن الشيخ أطفيش المفسر الأباضى الأشهر بأنه «لايكاد يجد آية يوافق ظاهرها مذهبه إلا جعلها دليلاً عليه، ولاآية تخالف مذهبه إلا أولها بما لايكون بينها وبين مذهبه خلاف أو معارضة»(٢).

❐ وقد اتسم الإنتاج التفسيرى للأباضية بالقلة بسبب قلة إنتاجهم العلمى بشكل عام وذلك عائد لأسباب عديدة منها ملاحقة السلطات لهم على مر العصور والوضع القليل الذى يعيشه أكثرهم بسبب الانتقال من مكان إلى مكان .

❐ فإذا كانت هذه الأسباب وغيرها أدت إلى قلة الإنتاج فى المنشور للإباضية فى جميع العلوم فإن التفسير كان له الحظ الأوفر فى القلة حيث أن إنتاجهم فى ذلك لايتجاوز أصابع اليدين سواء منها القديم أو الحديث أما

---

(١) الأباضية عقيدة ومنهجاً: د. صابر طعيمة ص٤٣ .

(٢) إتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر: د. فهد الرومى ١/٢٣١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأسباب فإنها لاتختلف عن الأسباب السابقة وإما تزيد عليها أسباب أخرى، فمن وجهة نظر الدكتور محمد الذهبى - رحمه الله - «أن الخوارج - مع ماهم عليه من شذوذ - كانوا يخلصون لعقيدتهم ويتمسكون بإيمانهم إلى حد كبير، ويرون أن الكذب جريمة من أكبر الجرائم وبه - عند جمهورهم - يخرج الإنسان من عداد المؤمنين، فلعل هذا دعاهم إلى عدم الخوض فى تفسير القرآن وجعلهم يتورعون عن البحث وراء معانيه، مخافة أن لايصيبوا الحق فيكونوا قد كذبوا على الله. وقد سئل بعضهم: لم لم تفسر القرآن؟ فقال: (كلما رأيت قوله تعالى: ﴿**ولو تقول علينا بعض الأقاويل، لأخذنا منه باليمين، ثم لقطعنا منه الوتين**﴾[١] أحجمت التفسير)[٢].

□ ويؤيد «شريف بلحاج» وهو أحد الباحثين الإباضية الرأى الذى ذكره الذهبى ويعتبره من العوامل الذاتية وهو «تهيب علماء الأباضية للتفسير وعدم تجرؤهم على كتاب الله»[٣]، ويضيف عوامل خارجية فيذكر منها «إتلاف ماوجد من هذه التفاسير أو ضياعها»[٤].

□ والحاصل أن الإنتاج التفسيرى للإباضية على قلته إلا أنه آخذ فى الإزدياد فى الفترة الأخيرة ابتداء من الشيخ أطفيش المتوفى سنة ١٣٣٢هـ-١٩١٤م، صاحب التفاسير الثلاثة «داعى العمل إلى يوم الأمل» و«هميان الزاد إلى دار المعاد» و«تيسير التفسير» وإلى عصرنا هذا .

---

(١) الحاقة: ٢٤، ٢٥، ٤٦ .

(٢) التفسير والمفسرون: محمد حسين الذهبى ج٢ ص٣١٧، ٣١٨ .

(٣) التفسير ومناهجه عند بعض علماء الأباضية: شريف بلحاج ص١ .

(٤) المصدر السابق ص١، ٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من تفاسير الإباضية :

تفسير: هميان الزاد إلى دار المعاد: لأطفيش (١٢٣٦-١٣٣٢هـ)

التعريف بالمؤلف :

هو: محمدبن يوسف بن عيسى بن صالح الحفصى العدوى المشهور بأطفيش ولد في بنى يسجن بوادى ميزاب سنة ١٢٣٦هـ/ ١٨٢١م ويذكر بعض الباحثين «أن الحفصى نسبة إلى أبى حفص عمر بن الخطاب رضى الله عنه والعدوى نسبة إلى بنى عدى قبيلة مشهورة من قبائل العرب ينتسب إليها عمر بن الخطاب كذلك»[١].

□ «ولقبه أطفيش أو اطفياش[٢]، بالمد، وهو اسم باللهجة البربرية المزابية مركب من ثلاثة كلمات هى أطف - ايا - اش - بمعنى: خذ - تعالى - كل، ولعلها كناية عن الكرم والجود، الذى كان لقباً كما يبدو لأحد أجداده على عادة أهل هذه البلاد» .

وللشيخ أطفيش صاحب متون عديدة، ففى كل فن وعلم نجد له مصنفات متنوعة وله في التفسير وحدة ثلاثة تفاسير كاملة هى :

- هميان الزاد إلى دار المعاد: وهو كتابنا هذا .
- داعى العمل ليوم الأمل: مخطوط، هو عبارة عن تفسير بدأه من سورة الرحمن إلي الخواتيم، وهو يقع فى مجلدين كبيرين .
- تيسير التفسير: وهو آخر عمل له في التفسير يقع في تسع مجلدات وقد طبع أول مرة فى الجزائر سنة ١٣٢٦هـ وأعيد طبعه مؤخراً فى سلطنة عمان.[٣]

---

(١) الشيخ محدم بن يوسف أطفيش ومذهبه فى التفسير: يحيى صالح بورتردين ص٣٥، ٣٦ .

(٢) المصدر السابق: ص٣٦ .

(٣) منهج الإباضية فى تفسير القرآن: د. وليد مساعد الطبطبائى ص، ٢٤٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التعريف بالكتاب :

يعتبر كتاب «هميان الزاد»[١] من الكتب المطولة التى حشيت بالعديد من المعارف والمسائل ويقع الكتاب في أربعة عشر مجلداً من القطع المتوسط وهذا التفسير الواسع هو أول محاولة للشيخ أطفيش في التفسير، وقد ألفه «وعمره حوالى خمس وعشرون سنة»[٢]، وهو مايشير إليه ويؤكده الشيخ أطفيش نفسه فى مقدمته لكتابه الآخر «تيسير التفسير» حيث يذكر هناك أنه ألفه «في صغر السن»[٣] أما دافعه للتأليف فهو أن هذا التفسير جاء «كضرورة أملتها الظروف حين شعر الشيخ أطفيش رحمه الله كغيره من علماء مذهبه بحاجتهم إلي تفسير يمثل وجهة نظرهم العلمية فى تفسير أحكام الشارع سبحانه وتعالي، كما هو الشأن بالنسبة لسائر المذاهب الإسلامية الأخرى، حيث نجد لكل أتباع مذهب من المذاهب تفاسير تمثل نظرتهم وفهمهم للقرآن الكريم»[٤].

❐ ويعبر باحث إباضى آخر بأن «تفسير الهميان يبدو كأنه محاولة فى ميدان التفسير أراد المؤلف أن يجمع فيه أقصى مايمكن من المعارف التى حصل عليها أثناء سنوات دراسته دون تمحيص أو تحقيق أحياناً»[٥].

❐ ويقول الدكتور الذهبى - رحمه الله - عن هذا التفسير «يعتبر هذا التفسير هو المرجع المهم للتفسير عند الإباضية من الخوارج، غير أنه لايصور

---

(١) طبع هذا الكتاب مرتين الأولى فى طبعة سلطان زنجبار طباعة حجرية فى المطبعة السلطانية منذ أكثر من مائة عام وبالتحديد سنة ١٣٠٥هـ ١٨٨٨م وأعيدت طباعته مؤخراً فى مطبعة سجل العرب بالقاهرة لحساب وزارة التراث القومى والثقافة العمانية سنة ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦ م.

(٢) التفسير ومناهجه عند بعض علماء الإباضية: بلحاج شريف ص١١ .

(٣) تيسير التفسير: محمد بن يوسف أطفيش ج١ ص٢ .

(٤) الشيخ محمد يوسف أطفيش مذهبه فى التفسير: يحيى صالح بوتردين ص١٨٦ .

(٥) التفسير ومناهجه عند بعض علماء الإباضية: بلحاج شريفى ص١١، ١٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

لنا حالة التفسير عندهم فى عصورهم الأولى: وذلك لقرب عهد مؤلفه، وتأخره عن زمن كثير من علماء التفسير الذين وافقوه علي مذهبه، والذين خالفوه فيه»[١].

❐ ولأهمية تفسير الشيخ أطفيش، أو القطب - كما يحلو للباحثين الإباضيين أن يطلقوا عليه نظراً لسعة علمه وكثرة مصنفاته - نجد أنهم يصفونه «من حيث قيمته التعليمية ومنهجه يمثل بحق نموذجاً من التفسير الإباضى فى هذا العصر، لم مميزاته وجوانب عظمته»[٢].

طريقة أطفيش فى تفسيره :

أما طريقة المؤلف فى التفسير فإنه يجمع فيها بين التفسير بالمأثور والتفسير بالرأى ويعتنى بسرد مايمكن من أقوال ومسائل في الآيات، وهو يبدأ قبل كل شئ بالتعريف بالسورة وتسميتها وعدد آياتها والتعريف بالمدنى والمكى وماجاء فى السنة من فضائل لها، ولايترك فى تفسيره شاردة ولاواردة إلا جاء بها من الفقهية والكلامية علاوة علي المسائل اللغوية والنحوية والبلاغية التى يزخر بها هذا التفسير .

❐ ومن طريقته في التفسير أنه يورد قوله أولاً ثم بعد ذلك يورد الأقوال الأخرى الواردة فى نفس الموضوع .

❐ وأحياناً يذكر عدة أقوال في المسألة الواحدة ثم يختار منها مايراه هو أنه صحيح وهو يستعين بالكثير من كتب التفسير لكنه لايذكر أسماءها إلا نادراً .

---

(١) التفسير والمفسرون: د. محمد حسنين الذهبى، ج٢ ص٣٢٠ .

(٢) التفسير ومناهجه عند بعض علماء الإباضية: بلحاج شريفى ص١٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المآخذ على تفسير همیان الزاد :

يعلق الدكتور الذهبى على منهج الشيخ أطفيش فى كتابه همیان الزاد فيقول: «نقرأ فى هذا التفسير فنجد أن صاحبه يذكر فى أول كل سورة عدد آياتها، والمكى منها والمدنى، ثم يذكر فضائل السورة. مستشهداً لذلك في الغالب الأحاديث الموضوعة فى فضائل السور، ثم يذكر فوائد السورة بما يشبه كلام المشعوذين الدجالين ثم بعد ذلك كله يشرح الآيات شرحاً وافياً، فيسهب في المسائل النحوية، واللغوية، والبلاغية، ويفيض فى مسائل الفقه والخلاف بين الفقهاء كما يتعرض لمسائل علم الكلام ويفيض فيها، مع تأثر كبير بمذهب المعتزلة، كما لايفوته أن يعرض للأبحاث الأصولية والقراءات، وهو مكثر إلى حد كبير من ذكر الإسرائيليات التى لايؤيدها الشرع، ولايصدقها العقل، كما يطيل فى ذكر تفاصيل الغزوات التى كانت على عهد رسول الله ﷺ، ثم هو بعد ذلك لايكاد يمر بآية يمكن أن يجعلها فى جانبه إلا مال بها إلى مذهبه، وجعلها دليلاً عليه، ولاباية تصارحه بالمخالفة إلا تلمس لها كل مافي طاقته من تأويل، ليتخلص من معارضتها وقد يكون تأويلاً متكلفاً، وفاسداً، لاينجيه من معارضة الآية له..»[١].

❐ وفما يأتى بعض الأمثلة التى تؤكد ماأشار إليه الدكتور الذهبى من مسلك المفسر أطفيش ليوافق رأيه الفاسد فى العقيدة :

١ - تأويل «علي العرش استوى»[٣]، بالملك والغلبة.[٤]

٢ - تأويل صفة الغضب بالإنتقام أو العقاب[٥].

---

(١) التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبى ج٢ ص٣٢٠، ٣٢١ .

(٢) التفسير ومناهجه عند بعض علماء الإباضية: بلحاج شريفى، ١٣، ١٤ .

(٣) الأعراف: ٥٤ .

(٤) همیان الزاد: محمد بن يوسف أطفيش ج٢ ص٣٦١ .

(٥) المصدر السابق: ج١ ص١٥٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣ - تأويل مجيئ الرب جل وعلا بمجئ أمره. (١)

٤ - تأويل يمين الرحمن بأنه «عبارة عن المنزلة الرفيعة» (٢).

٥ - يرى بأنه لاشفاعة لأهل الكبائر. (٣)

٦ - اعتبار أصحاب الكبائر منافقين غير مشركين. (٤)

٧ - مرتكب الكبيرة كافر كفر نعمة. (٥)

٨ - خلود أصحاب الكبائر غير التائبين. (٦)

٩ - يرى بأن القرآن مخلوق (٧).

١٠- إنكاره الرؤية في الدنيا والآخرة. (٨)

---

(١) المصدر السابق: ج١ ص١٥٧ .

(٢) المصدر السابق: ج١ ص١٥٧ .

(٣) المصدر السابق: ج١ ص٢٧٤.

(٤) المصدر السابق: ج٢/٧ ص٢٠٨ .

(٥) المصدر السابق: ج١ ص٢٠٤ .

(٦) المصدر السابق: ج٢ ص١٤٠ .

(٧) المصدر السابق: ج٧ ص٢٣ .

(٨) المصدر السابق: ج٥ ص٢٣٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثانى
الإتجاه الفقهى فى التفسير

القرآن الكريم نزل وهو مشتمل على آيات الأحكام الفقهية، التى تهدف إلي تقويم السلوك وتهتم بمصالح العباد في دنياهم وأخراهم .

☐ وكان النبى ﷺ قد بين لأصحابه ماقد يستشكل فهمه عليهم من آيات الأحكام. ثم إن الصحابة بعده لجأوا إلى القرآن الكريم لاستنباط الأحكام التى أخذت تستجد فيما بعد مستعينين أيضاً بما يجدونه من سنة النبى ﷺ، والصحابة - كما مر - يختلفون فى فهم القرآن، لذا فقد يتفقون علي حكم معين، وقد يختلفون في فهم الآية فيترتب عليه الاختلاف فى الحكم المستنبط منها .

☐ مثال ذلك «الخلاف الذى وقع بين ابن عباس وزيد بن ثابت فى تفسيم ميراث من مات عن زوج وأبوين، فابن عباس رضى الله عنه أفتى بأن للزوج النصف، ولأم الثلث، ولأب الباقى تعصيباً، تمساً بظاهر قوله تعالى فى الآية ﴿**فإن لم يكن له ولد وورثه أبواه فلأمه الثلث**﴾(١).

☐ وزيد بن ثابت رضى الله عنه ومعه بقية الصحابة أفتوا بأن للأم ثلث الباقى بعد فرض الزوج، نظراً لأن الأب والأم ذكر وأنثى ورثاً بجهة واحدة، فللذكر مثل حظ الأنثيين.(٢).

وصوره القول الأول (ابن عباس)(٣) وهكذا :

---

(١) النساء: ١١ .

(٢) التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبى ٢/ ٤١٥ .

(٣) نقلاً عن بحوث فى أصول التفسير ومناهجه: فهد الرومى ص٩٣، ٩٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

إذا كان المتوفى الزوج: ١٢			إذا كان المتوفى الزوجة: ٦		
زوجة	٤/١	٣	زوجة	٢/١	٣
أم	١/٣	٤	أم	٣/١	٢
أب	الباقى	٥	أب	الباقى	١

وصورة القول الثانى (زيد بن ثابت) هكذا:-

إذا كان المتوفى الزوج: ١٢			إذا كان المتوفى الزوجة: ٦		
زوجة	٤/١	٣	زوجة	٢/١	٣
أم	٣/١ الباقى	٣	أم	٣/١ الباقى	١
أب	الباقى	٦	أب	الباقى	٢

❐ وأخذ مثل هذا الاختلاف فى الفهم والاستنباط يتسع شيئاً فشيئاً بعد عصر الصحابة ومروراً بعصر التابعين وحتى ظهور المدارس الفقهية المتعددة وظهور العديد من المسائل المستجدة التى يحكم عليها في ضوء ماجاء فى القرآن واسنة، فكان يحدث اتفاق حول كثير من المسائل، ويختلفون فى كثير منه، بحسب مايصل إليه فهمهم وقناعتهم. وكان الجميع ينشد الحق ويطلب الحكم الصحيح دون تعصب .

❐ وظهر بعد ذلك التعصب الأعمى لأقوال الأئمة، فكان البعض ينظر لأقوال أئمتهم كما ينظرون إلى نص الشارع الحكيم، ومع هذا الغلو فى التعصب المذهبى، لازال هناك جمع من المنصفين الذين ينظرون إلى أقوال الأئمة نظرة الباحث المنصف الذى يبحث عن الدليل حتى يصل إليه أياً كان صاحب القول .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تنوع التفسير الفقهى:

لقد كان لجميع المهتمين بعلم الفقه أثر في التفسير الفقهى، فقد كان المتعصبون منهم يلوون أعناق الآيات لتوافق مذهبهم، وغير المتعصبين يقارنون بين الأقوال، وينزلون الآيات بحسب مايظهر لهم بعد ذلك .

□ وإذا تتبعنا «التفسير الفقهى فى جميع مراحله، وجدناه يسير بعيداً عن الأهواء والأغراض من مبدأ نزول القرآن إلي وقت قيام المذاهب المختلفة، ثم بعد ذلك يسير تبعاً للمذاهب، ويتنوع بتنوعها، فلأهل السنة تفسير متنوع بدأ نظيفاً من التعصب، ثم لم يلبث أن تلوث به كما أسلفنا، للظاهرية تفسير فقهى يقوم على الوقوف عند ظواهر القرآن دون أن يحيد عنها، وللخوارج تفسير فقهى يخصهم، وللشيعة تفسير فقهى يخالفون به من عداهم.. وكل فريق من هؤلاء يجتهد في تأويل النصوص القرآنية حتى تشهد له أو لاتعارضه على الأقل.. مما أدى ببعضهم إلى التعسف فى التأويل، والخروج بالألفاظ القرآنية عن معانيها ومدلولاتها»[١].

الإنتاج التفسيرى للفقهاء :

تنوعت المصنفات فى التفسير الذى يعتنى بالتوسع فى تفسير آيات الأحكام بتنوع المذاهب الفقهية. فمن المصنفات فى ذلك :

من المذهب الحنفى :

١ - تفسير آيات الأحكام: لأبى بكر الرازى المعروف بالجصاص .

ومن المذهب المالكى:

١ - تفسير أحكام القرآن: لأبى بكر بن العربى .

٢ - الجامع لأحكام القرآن: لأبى عبد الله القرطبى .

---

(١) التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبى ٢/٤١٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومن المذهب الشافعى :

١ - أحكام القرآن: جمعه أبو بكر البيهقى من نصوص من نصوص الإمام الشافعى .

٢ - أحكام القرآن: إلكيا الهراسى .

٣ - الإكليل في استنباط التنزيل: السيوطى .

وفى العصر الحديث سهرت مؤلفات تختص بتفسير آيات الأحكام منها :

١ - نيل المرام في تفسير آيات الأحكام: محمد صديق حسن .

٢ - روائع البيان تفسير آيات الأحكام: محمد على الصابونى .

٣ - تفسير آيات الأحكام: محمد على السايس .

٤ - تفسير آيات الأحكام: مناع القطان .

وإليكم نموذجاً من هذه التفاسير، وهو تفسير القرطبى .

الجامع لأحكام القرآن: القرطبى (.... - ٦٧١هـ) .

التعريف بالمفسر :

هو: محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصارى الخزرجى الأندلسى، أبو عبد الله القرطبى: من كبار المفسري، صالح متعبد، من أهل قرطبة، رحل إلى الشرق واستقر بمنية ابن خصيب (فى شمال أسيوط بمصر) وتوفى فيها. من كتبه أيضاً: (الأسنى والتذكرة والتذكار)[١].

---

(١) الاعلام: الزركلى ٥/٣٢٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

التعريف بالكتاب :

تفسير الإمام القرطبى من أنفع التفاسير وأجلها، توسع فيه مؤلفه فى أحكام القرآن وحذف منه القصص والتواريخ، وأضاف إليه علوم أخرى كالإعراب والقراءات وغيرها. وقد قدم مؤلفه قبل أن يشرع فى كتابه التفسير السبب الباعث له على التأليف، فيقول: «لما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع، رأيت أن اشتغل به مدى عمرى، واستفرغ فيه منتى، بأن أكتب فيه تعليقاً وجيزاً، يتضمن نكتاً من التفسير واللغات، والإعراب والقراءات، والرد علي أهل الزيغ والضلالات، وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات، جامعاً بين معانيهما، ومبيناً ماأشكل منهما، بأقاويل السلف، ومن تبعهم من الخلف، وعمله تذكرة لنفسى، وذخيرة ليوم رمسى، وعملاً صالحاً بعد موتى»(١).

طريقة القرطبى فى تفسيره :

اشترط القرطبى على نفسه شروطاً إلتزم بها فى تفسيره، فهو يقول فى مقدمة تفسيره: «وشرطى فى هذا الكتاب: إضافة الأقوال إلى قائليها، والأحاديث إلى مصنفيها، فإنه يقال: من بركة العلم أن يضاف القول إلي قائله. وكثيراً مايجئ الحديث فى كتب الحديث، فيبقى من لاخبرة له بذلك حائراً، لايعرف الصحيح من السقيم، ومعرفة ذلك علم جسيم، فلا يقبل منه الإحتجاج به، ولاالاستدلال حتى يضيفه إلى من خرجه من الأئمة الأعلام، والثقات المشاهير من علماء الإسلام. ونحن نشير إلى جمل من ذلك فى هذا الكتاب، والله الموفق للصواب. وأضر عن كثير من قصص المفسرين، وأخبار المؤرخين، إلا مالابد منه ولاغنى عنه للتبيين، واعتضت من ذلك تبيين آى

---

(١) الجامع لأحكام القرآن: القرطبى ٣/١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأحكام، بمسائل تسفر عن معناها، وترشد الطالب إلى مقتضاها، فضمنت كل آية تتضمن حكماً أو حكمين فما زاد، مسائل نبين فيها ماتحتوى عليه من أسباب النزول والتفسير الغريب والحكم، فإن لم تتضمن حكماً ذكرت مافيها من التفسير والتأويل، هكذا إلى آخر الكتاب»[١].

مزايا تفسير القرطبى:

١ - لايتعصب المفسر «لمذهبه المالكى، بل يمشى مع الدليل، حتى يصل إلى مايراه أنه الصواب أياً كان قائله»[٢].

٢ - والمفسر يقوم بتخريج الأحاديث في الغالب، ويعزوها إلى مصادرها .

٣ - وقد «صان كتابه عن الإكثار من ذكر الإسرائيليات والأحاديث الموضوعة، كما أنه ذكر بعض الإسرائليات والموضوعات مما يخل بعصمة الملائكة، أو الأنبياء، أو يخل بالاعتقاد: فإنه ينكر عليها بالإبطال، أو يبين أنها ضعيفة، وذلك: كما فعل فى قصة هاروت وماروت، وقصة داود وسليمان. وقصد الغرانيق، وقصة زواج النبى ﷺ بالسيدة زينب بنت جحش، وربما ينبه أيضاً على بعض الموضوعات فى أسباب النزول، وذلك مثل مارواه القصاص، وأمثالهم، فى سبب نزول قوله تعالى ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكيناً ويتيماً وأسيراً﴾ الآيات[٣]. غير أنه قد وجد فيه بعض الإسرائيليات والموضوعات على قلة»[٤].

---

(١) المصدر السابق: ١/٣ .

(٢) التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبى ٢/ ٤٤٠ .

(٣) الفجر: ٦ - ٨ .

(٤) الإسرائيليات والموضوعات فى كتب التفسير: د. محمد أبو شهبة ص، ١٣٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المآخذ على تفسير القرطبى :

لما سئل شيخ الإسلام على أى التفاسير أقرب إلى الكتاب والسنة: الزمخشرى، أم القرطبى؟ أجاب رحمه الله: «... و(تفسير القرطبى) خير منه بكثير - أى من الزمخشرى - وأبعد عن البدع. وإن كان كل من هذه الكتب لابد أن يشتمل على ماينقد، لكن يجب العدل بينها، وإعطاء كل ذى حق حقه»(١).

وتفسير القرطبى على جلالة قدره قد وردت عليه مآخذ عدة منها :

١ - يعتبر تفسيره مورداً كبيراً صبت فيه عدة مصادر تفسيرية، ولغوية، وحديثية، وفقهية، وعقائدية، وصوفية، وتاريخية، وفيه من الموضوع، والمكذوب والضعيف، الشئ الكثير من الأحاديث التى ينقلها وخصوصاً مايعتمد على الثعلبى صاحب التفسير، والحكيم الترمذى فى نوادر الأصول، بل إن لم نكن مبالغين فى قولتنا، فإن تفسير القرطبى يضم كتباً بأجمعها، فكتاب أحكام القرآن لأبى بكر بن العربى قلما يترك منه شيئاً، وتفسير أبى محمد بن عطية كذلك»(٢).

٢ - المفسر القرطبى فى الأسماء والصفات أشعرى: «فجميع الصفات الواردة فى تفسيره أولها، ونقل أقوال المؤولة فيها إلى الإستواء، فإن الذى يقرأ كلامه فى سورة الأعراف يظهر له أن القرطبى يثبت صفة الاستواء، ولكن إذا قارن بين مافى الأعراف وما فى الأسنى تبين له أن القرطبى لايثبت صفة الاستواء، ومن جهة أخرى، فإن القرطبى عمدته فى عقيدة الأسماء والصفات هى أقوال أئمة الأشاعرة وأساطينهم، كالجوينى وابن الباقلانى والاسفراينى والقلانسى والرازى وابن عطية وغيرهم»(٣).

---

(١) مقدمة فى أصول التفسير: ابن تيمية، ص٥٢ .

(٢) المفسرون بين التأويل والإثبات: د. محمد المغراوى ص٦ .

(٣) المصدر السابق: ص ٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الثالث

الإتجاه العلمى فى التفسير

هو مايسمى بالتفسير العلمى أو الإعجاز العلمى للقرآن. ويقصد به «أن تكون فى القرآن آيات تتناول حقائق علمية لم تتكشف للإنسانية إلا فى العصور الأخيرة فيبالغ فى بيانها وتعدادها وسوق أمثلة بعض الكتاب والباحثين في مختلف أنواع المعرفة الإنسانية من طبيعية وكيميائية وطبية وهندسية وفلكية وجغرافية وغير ذلك..»[١].

❐ وبيان ذلك أن القرآن سلك مسلك إقامة الحجة والبرهان، ودعا إلى التفكير فى السموات والأرض، وماخلق الله فيهما، وأنعم به على الإنسان ودعاه إلى التفكر والتدبر، ودعا إلى التأمل، و«عرض لكثير من مظاهر هذه الوجود الكونية كخلق السموات والأرض، وخلق الإنس والجن والملائكة، وسوق السحاب، وتراكمه، ونزول المطر، وجريان الشمس والقمر، وتحدث عن الكواكب والنجوم والشهب، والصعود فى السماء، وعن خلق الإنسان وأطوار الجنين، وعن النبات، والبحار، والجبال، وماتحت الثرى، وعرض لمعارف شتى، وعلوم متعددة .

❐ ومن تطور العلوم والتقدم العلمى، والاكتشافات العلمية الحديثة، فلم ينقض العلم شيئاً مما جاء في القرآن، ولم يصادم جزئية من جزئياته مما بوأ القرآن الكريم مكانة لم يشاركه فيها كتاب من قبله ولامن بعده فما من كتاب عرض لمثل ماعرض له القرآن الكريم إلا وكشف الزمن زيفه، أبطلت الحقائق العلمية الثابتة نظرياته، حاشا القرآن الكريم، وهذا مايسمى بالإعجاز العلمى في القرآن الكريم .

---

(١) آدم كما تحدث القرآن: د. عبد الغنى الراجحى ص١٢ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

□ وقد توسع بعض المفسرين فى هذا النوع من الآيات وأولوها عنايتهم واهتمامهم، فأبرزوا فى تفاسيرهم الحديث عن الفلك ونظامه والكواكب والنجوم وسيرها، وعن أسرار خلق الإنسان وأطواره، وعن المياه والبحار والأنهار والسحب والأمطار، وعن النبات وسائر الأشجار، وعن الحيوانات والأنعام وينطلقون فى هذا كله من الآيات القرآنية واستنباط معانيها ودلالاتها الظاهرة والخفية»(١).

حكم التفسير العلمى :

لم تتفق آراء العلماء فى عصرنا الحاضر «على قبول هذا اللون من التفسير، بل نراهم مختلفين فى قبوله والقول به، كما كان الشأن بين من سبقهم من العلماء الأقدمين. وإذا كنا قد وجدنا من العلماء المحدثين من انحاز إلى هذه الفكرة فى التفسير وتأثر بها في مؤلفاته، فإنا نجد بجوار هؤلاء أيضاً كثرة من العلماء لم ترض عن هذااللون من التفسير، ولم تستسغ أن تشرح به كتاب الله تعالى، ولم تغمض عينها أو تمسك قلمها عن رد هذه الفكرة على أهلها وتناولهم إياها بالنقد والتفنيد»(٢).

وجهة نظر من يؤيد التفسير العلمى :

١ - إنهم بقدر مايفعلون من ذلك «يضيفون إلى أمجاد القرآن وإلى براهين صدقه شيئاً جديداً»(٣).

---

(١) بحوث فى أصول التفسير ومناهجه: د. فهد الرومى ص، ٩٦ .

(٢) التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبى ٢/٤٩٤ .

(٣) آدم عليه السلام كما تحدث القرآن: د. عبد الغنى الراجحى ص .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢ - وإنهم بواسطته يتمكنون من «إدراك وجوه جديدة للإعجاز في القرآن من ناحية ما يحويه أو يرمز إليه من علوم الكون»[١].

٣ - وعن طريقه يمكن «استمالة غير المسلمين إلى الإسلام من هذا الطريق العلمى الذى يخضعون له دون سواه فى هذه الأيام»[٢].

وجهة نظر من يعارض التفسير العلمى :

١ - عادة ماتكون القرارات العلمية «عرضة للتبديل والتغير فلا نريد أن نربط القرآن وتفسيره بعجلة المتغير المتبدل وليكف القرآن شرفاً ومجداً أنه فى المجال العلمى حث على العلم والبحث والنظر ونادى على ذلك بأعلى صوته وأهاب بالناس أن يفعلوا ذلك اعتصاراً لما أودعه الله فى الكون لمنافعهم ولم يقف كغيره من الديانات حجر عثرة فى سبيل التقدم العلمى والفكرى، انه كتاب هداية وإرشاد وليس من شأنه الإفاضة فى الحقائق العلمية من طبية وهندسية وغيرها لكن إن وجد فى هذا الباب والتكلف فيه فليس من طبيعة هذا القرآن ولامن طبيعة هذا الدين الذى يقول نبيه لأصحابه: «أنتم أعلم بشؤون دنياكم» لما نهاهم عن تأبير النخل فشاص»[٣].

٢ - «إن إعجاز القرآن الكريم ثابت. وهو غنى عن أن يسلك في بيانه هذا المسلك المتكلف الذى قد يذهب بإعجازه القرآن»[٤].

٣ - «إن تناول القرآن بهذا اللون من التفسير يضطر المفسر إلى مجاوز الحدود التى تحتملها ألفاظ النص القرآنى الكريم، لأنه يحس بالضرورة متابعة العلم فى مجالاته المختلفة»[٥].

---

(١) مناهل العرفان : الزرقانى ٢/ ١٠٠ .

(٢) المصدر السابق ٢/ ١٠٠ .

(٣) آدم عليه السلام كما تحدث القرآن: د. عبد الغنى الراجحى ص ١٠ .

(٤) بحوث فى أصول التفسير ومناهجه: د. فهد الرومى ص٩٧ .

(٥) المصدر السابق ص٩٨ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفصل بين رأيين :

بغض النظر عما فى وجهة نظركل فريق من الصواب والخطأ فإنه يجب التنبيه على أصحاب النزعة الأولى «أن يأخذوا بشئ كثير من الحذر والحيطة فالنزعة التى أخذوا أنفسهم بها نزعة صعبة المراس محفوفة بالأخطار فى حاجة ماسة إلى الوعى والاستقصاء والتسلح لتفسير كتاب الله لابالعلم الذى نبغوا فيه فقط ولكن بالعلوم والعربية التى يجب على المتصدى لتفسير كتاب الله أن يكون متسلحاً بها لأول أمره»(١).

□ ويجب أيضاً «أن لاتطغى تلك المباحث - العلمية - عن المقصود الأول من القرآن، وهو الهداية والإعجاز»(٢).

□ ويجب أيضاً «أن لاتذكر هذه الأبحاث على أنها هى التفسير الذى لايدل النص القرآنى على سواه، بل تذكر لتوسيع المدلول، وللإستشهاد به على وجه لايؤثر بطلانها فيما بعد على قداسة النص القرآنى، وذلك أن تفسير النص القرآنى بنظرية قابلة للتغيير والإبطال يثير الشكوك حول الحقائق القرآنية فى أذهان الناس كلما تعرضت نظرية للرد أو البطلان»(٣).

أهم المؤلفات فى التفسيرالعلمى :

١ - التفسير الكبير: الرازى .
٢ - الجواهر فى تفسير القرآن الكريم: طنطاوى جوهرى .
٣ - إعجاز القرآن: مصطفى صادق الرافعى .
٤ - سنن اللغة الكونية: محمد أحمد الغمراوى .
٥ - الإسلام والطب الحديث: د. عبد العزيز إسماعيل .
٦ - التفسير العلمى للآيات الكونية: حنفى أحمد .
٧ - القرآن ينبوع العلوم والفرقان: على فكرى .

وإليكم نموذجاً من هذه المؤلفات وهو تفسير الجواهر :

---

(١) آدم عليه السلام كما تحدث القرآن: د. عبد الغنى الراجحى ص ١٠ .
(٢) مناهل العرفان: الزرقانى ٢/١٠١ .
(٣) بحوث فى أصول التفسير ومناهجه: د. فهد الرومى ص٩٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

تفسير الجواهر: طنطاوى جوهرى
(١٢٨٧ - ١٣٥٨ هـ = ١٨٧٠ - ١٩٤٠م)

التعريف بالمؤلف :

طنطاوى بن جوهرى المصرى: فاضل، له اشتغال بالتفسير والعلوم الحديثة. ولد فى قرية عوض الله حجازى، من قرى «الشرقية» بمصر. وتعلم في الأزهر مدة، ثم فى المدرسة الحكومية. وعنى بدراسة الإنكليزية. مارس التعليم فى بعض المدارس الإبتدائية، ثم فى مدرسة دار العلوم، وألقى محاضرات فى الجامعة المصرية. وناصر الحركة الوطنية، فوضع كتاباً فى «نهضة الأمة وحياتها - ط» نشرة تباعاً فى جريدة اللواء وانقطع للتأليف[١].

التعريف بالكاتب :

يقول الزركلى «أن طنطاوى جوهرى صنف أشهر كتبه الجواهر فى تسير القرآن وطبع فى ٢٩ جزءاً، نحا فيه منحى خاصاً ابتعد فى أكثره عن معنى التفسير، وأغرق فى سرد أقاصيص وفنون عصرية وأساطير»[٢].

□ ومؤلفه يبين فى مقدمة تفسيره «أن قصده من هذا التفسير أن يشرح الله به قلوباً ويهدى به أمماً وتنقشع به الغشاوة عن أعين عامة المسلمين فيفهموا العلوم الكونية، ثم إن المؤلف يبين منهجه فى مقدمة الكتاب فيقول: ولقد وضعت فى هذا التفسير مايحتاجه المسلم من الأحكام والأخلاق وعجائب الكون وأثبت فيه غرائب العلوم وعجائب الخلق مما يشوق المسلمين والمسلمات إلى الوقوف على حقائق معانى الآيات البينات فى الحيوان والنبات والأرض والسموات»[٣].

---

(١) الإعلام: الزركلى ٣/ ٢٣٠.

(٢) المصدر السابق: ٣/ ٣٢٠.

(٣) التفسير ومناهجه د. محمود بسيونى فوده ص، ١٤٦.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

□ والمفسر يعنى فى تفسيره «عناية فائقة، بالعلوم الكونية، وعجائب الخلق، ويقرر فى تفسيره أن فى القرآن من آيات العلوم مايربو على سبعمائة وخمسين آية، ويهيب بالمسلمين أن يتأملوا فى آيات القرآن التى ترشد إلى علوم القرآن، ويحثهم على العمل بما فيها، ويفضلها على غيرها فى الوقت الحاضر، حتى على فرائض الدين، فيقول: «يا ليت شعرى: لماذا لانعمل فى آيات العلوم الكونية مافعله آباؤنا فى آيات الميراث؟ ولكنى أقول: الحمد لله. الحمد لله! إنك تقرأ فى هذا التفسير. خلاصات من العلوم، ودراستها أفضل من دراسة علم الفرائض، لأنه فرض كفاية، فأما هذه فإنها للإزدياد في معرفة الله، وهى فرض عين على كل قادر» ويأخذ الغرور منه مأخذه، فينحى بالأئمة على المفسرين السابقين، ويقول: «إن هذه العلوم التى أدخلناها فى تفسير القرآن هى التى أغفلها الجهلاء المغرورون من صغار الفقهاء في الإسلام، فهذا زمان الإنقلاب، وظهور الحقائق، والله يهدى من يشاء إلى صراط مستقيم»[١].

□ وهذه المقالات ومثلها في تفسيره كثير مقد صدر أغلبها «من المؤلف فى مقام الرد على من كان يوجه إليه اللوم والإعتراض على ماكان منه من تحميل القرآن الكريم علوماً ونظريات مستحدثة لاعهد للعرب بها، ولاصلة للقرآن بشئ منها. ولعل هذا المنزع فى تفسير القرآن الكريم هو السر الذى من أجله صادرت المملكة العربية السعودية هذا الكتاب، ولم تسمح بدخوله إلى بلادها، كما يجد القارئ ذلك فى نص الكتاب المرسل من المؤلف إلى الملك عبد العزيز آل سعود، ملك نجد والحجاز ص٢٣٨ من الجزء الخامس والعشرين»[٢].

---

(١) مباحث فى علوم القرآن: مناع القطان ص٣٧١ .

(٢) التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبى ٢/٤٨٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طريقة الجوهرى فى تفسيره :

١ - يبدأ أولاً بتفسير آيات القرآن تفسيراً لفظياً مختصراً يسير فيه على منوال كتب التفسير المعتادة .

٢ - ثم يبدأ فى الخوض في أبحاث علمية مستفيضة يسميها المؤلف (لطائف) أو (جواهر) «وهى عبارة عن حشو لأفكار علماء من الشرق والغرب في العصر الحاضر وهو يقصد بهذا أن يقول للناس عامة إن القرآن قد احتوى على علم الأولين والآخرين فيأتى بعلم الحيوان والنبات ومناظر الطبيعة وتجارب العلوم»(١).

٣ - وهو كثير المقارنة بين ماجاء فى القرآن وبين ماجاء فى العلم الحديث وأحياناً يجعل هذه المقارنة «على هيئة جداول كما فعله فى أثناء تفسيره للآيات المبتدئة بقوله تعالي ﴿**سنلقى فى قلوب الذين كفروا الرعب بما أشركوا بالله مالم ينزل به سلطاناً ومأواهم النار وبئس مثوى الظالمين**﴾(٢).

قال: هذا ملخص ماجاء فى العلم الحديث وفى علم الأرواح موازناً به ماجاء فى القرآن والحديث .

موازنات العلم الحديث

١ - الأرض انفصلت عن الشمس والقمر انشق منها .

٢ - الأرض إذا أجلها تمور وتصير هباء، ثم تصير عالماً جديداً وكذا بقية الكواكب .

---

(١) التفسير ومناهجه: د. محمود بسيونى فوده ص، ١٤٧ .

(٢) آل عمران: ١٥١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

القرآن والحديث الشريف :

١ - ﴿أو لم يرى الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما﴾(١).

٢ - ﴿يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات﴾(٢).

وهكذا يستمر فى عقد المقارنات وهى كثيرة.(٣)

٤ - والمؤلف أيضاً «يستشهد أحياناً على مايقول بما جاء فى الإنجيل، واعتماده فيما ينقل إلى إنجيل «برنابا» لأنه - كما يرى - أصح الأناجيل، بل هو الإنجيل الوحيد الذى لم تصل إليه يد التحريف والتبديل كما قيل»(٤).

٥ - والمؤلف «لاينفك يحشى تفسيره بما يحدث فى ساعته من استفسارات أو محاورات علمية، أو مايشعر من مشاعر فى تلك الآونة وقد تحضره قصيدة نظمها أو تخميس أبيات رتبها، أو ترجمها إلى العربية شعراً، وقد ينقل مقالاً كتبه هو أو رسالة أرسلها إلي جهة ما أو فقرة كاملة من كتاب كان قد ألفه، وهو دائماً يشير ويحيل إلى كتابه الذى وضعه فى علم الأرواح، بل غدا تفسيره أشبه بالمذكرات يؤرخها يوماً بعد يوم، ثم قد يستنسخ من كلام غيره مقالاً بأكمله أو خبراً تنشره الصحف اليومية، وقد يستغرق فى موضوع علمى فيملأ الصفحات العديدة حول ذلك ويعزز ذلك بغرائب الحوادث والواقعات ويستشهد على ذلك بجدول أو تقرير رسمى أو بيان موجه إلي جمهور الناس فضلاً عن مئات الصور والرسوم التى زين بها تفسيره»(٥).

---

(١) الأنبياء: ٣٠ .

(٢) إبراهيم: ٤٨ .

(٣) مناهج المفسرين: د. مساعد مسلم ص٢٦٠، ٢٦١ .

(٤) التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبى ٢/٤٨٦ .

(٥) مناهج المفسرين: د. مساعد مسلم ص٢٦٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المآخذ على تفسير الجواهر :

المآخذ على تفسير الجواهر عديدة نذكر منها :

١ - يقوم المفسر بتأويل «الأشياء التى لاتخضع للعمل كإحياء الموتى ووجود الملائكة والبعث والنشور والخوارق والإسراء والأمور الغيبية تأويلاً يجعلها ممكنة الحدوث فى عالمنا هذا، ويضرب عليها كثيراً من الأمثلة انظر إلى تأويله لقوله تعاليك ﴿**فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيى الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون**﴾[١] إذ يجعل ضرب القتيل ببعض لحم تلك البقرة وإحياءه وإخباره عن القاتل، ضرباً من إحضار الأرواح الذى اهتم به الناس باعتباره علماً حديثاً وأخذ يضرب على ذلك أمثلة جرت فى ذلك»[٢].

٢ - وكثيراً مانرى المفسر «يشرح بعض الحقائق الدينية بما جاء عن أفلاطون فى جمهوريته، أو بما جاء عن إخوان الصفا فى رسائلهم، هو حين ينقلها يبدى لنا رضاه عنها، وتصديقه بها، مع أنها تخالف الثابت عن رسول الله ﷺ»[٣].

٣ - «كما أنه يستخرج كثيراً من علوم القرآن بواسطة حساب الجمل الذى لانصدق أنه يوصل إلى حقيقة ثابتة، وإنما هى عدوى تسربت من اليهود إلى المسلمين، فتسلطت على عقول الكثير منهم»[٤].

□ وعن الموقف من هذا التفسير يقول الشيخ مناع قطان: «لقد أساء الشيخ طنطاوى جوهرى فى نظرنا إلى التفسير إساءة بالغة من حيث يظن أنه يحسن «صنعا ولم يجد تفسيره قبولاً لدى كثير من المثقفين»[٥].

---

(١) البقرة: ٧٣ .

(٢) المصدر السابق: ص٢٦١ .

(٣) التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبى ٤٨٦/٢.

(٤) المصدر السابق: ٤٨٦/٢ .

(٥) مباحث فى علوم القرآن: مناع قطان ص٣٧١.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ ويقول الدكتور الذهبى واصفاً الكتاب: «الكتاب موسوعة علمية، ضربت فى كل فن من فنون العلم بسهم وافر، مما جعل هذا التفسير يوصف به تفسير الفخر الرازى، فقيل عنه: «فيه كل شئ إلا التفسير» بل هو أحق من تفسير الفخر بهذا الوصف وأولى به، وإذا دل الكتاب على شئ، فهو أن المؤلف رحمه الله كان كثيراً مايسبح في ملكوت السموات والأرض بفكره، ويطوف فى نواح شتى من العلم بعقله وقلبه، ليجلى للناس آيات الله فى الآفاق وفق أنفسهم، ثم ليظهر لهم بعد هذا كله أن القرآن قد جاء متضمناً لكل ماجاء ويجئ به الإنسان من علوم ونظريات، ولكل مااشتمل عليه الكون من دلائل وأحداث، تحقيقاً لقول الله تعالى فى كتابه: ﴿**مافرطنا في الكتاب من شئ**﴾[1].. ولكن هذا خروج بالقرآن عن قصده، وإنحراف به عن هدفه، وقد عرفت رأينا فى المسألة فلا نعيده»[2].

---

(١) الأنعام: ٣٨ .

(٢) التفسير والمفسرون: د. محمدحسين الذهبى ٢/٤٩٤ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

المبحث الرابع

الإتجاه الإجتماعى والأدبى فى التفسير

أولاً: الإتجاه الإجتماعى فى التفسير :

من الإتجاهات الحديثة فى التفسير، وهو من نتاج مدرسة الشيخ محمدعبده «هذه المدرسة التى قام زعيمها، ورجالها من بعده بمجهود كبير فى تفسير كتاب الله تعالى، مجهود نحمد لها الكثير منه، ولانوافقها على بعض منه قليل»(١).

❐ وهذه المدرسة «نهجت بالتفسير منهجاً أدبياً اجتماعياً، فكشفت عن بلاغة القرآن وإعجازه، وأوضحت معانيه ومراميه، وأظهرت مافيه من سنن الكون الأعظم ونظم الإجتماع، وعالجت مشاكل الأمة الإسلامية الخاصة، ومشاكل الأمم عامة، بما أرشد إليه القرآن، من هداية وتعاليم. وجمعت بين خيرى الدنيا والآخرة، ووفقت بين القرآن ومأأثبته العلم من نظريات صحيحة، وجلت للناس أن القرآن كتاب الله الخالد، الذى يستطيع أن يساير التطور الزمنى والبشرى، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، ودفعت ماورد من شبه على القرآن، وفندت ماأثير حوله من شكوك وأوهام، بحجج قوية قذفت بها على الباطل فدمغته فإذا هو زاهق»(٢).

❐ إلا أنه يؤخذ على هذه المدرسة أنها أعطت لعقلها حرية واسعة، فتأولت بعض الحقائق الشرعية التى جاء بها القرآن الكريم، وعدلت بها عن الحقيقة إلى المجاز أو التمثيل، وليس هنا مايدعو لذلك إلا مجرد الاستبعاد والاستغراب. استبعاد بالنسبة لقدرة البشر القاصرة، واستغراب لايكون إلا ممن جهل قدرة الله وصلاحيتها لكل ممكن»(٣).

---

(١) التفسير والمفسرون: د. محمد حسين الذهبى ٢/٥٢٣ .

(٢) المصدر السابق: ٢/٥٢٤ .

(٣) المصدر السابق: ٢/٥٢٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

□ وحاصل الكلام أن أصحاب الإتجاه الإجتماعى فى التفسير يعتنون بالآيات التى تعالج الأمراض الاجتماعية «ويتوسعون فى تفسيرها طالبين علاج مشكلات مجتمعاتهم فينظر المفسر إلى مجتمعه نظرة الطبيب الفاحص يلتمس داءه، ويتعرف على علته، حتى إذا عرفه نظر في القرآن يطلب الدواء والعلاج فإذا وجده توسع فى شرحه وبيانه، وحث قومه على التزامه فنشأ بهذا لون من ألوان التفسير وهو الإصلاح الإجتماعى»(١).

وأهم المؤلفات فى هذا الإتجاه الإجتماعى هى :

١ - تفسير المنار: محمد رشيد رضا .

٢ - تفسير المراغى: أحمد مصطفي المراغى .

٣ - تفسير القرآن الكريم: محمود شلتوت .

٤ - صفوة الآثار والمفاهيم: عبد الرحمن بن محمد الدوسرى .

٥ - فى ظلال القرآن: سيد قطب .

ثانياً: الإتجاه الأدبى فى التفسير :

وهو إتجاه حديث أيضاً بدأ فى الذيوع والإنتشار مؤخراً فقط وأستاذ هذا الإتجاه وفارسه الذى لايبارى هو الشيخ/ سيد قطب - رحمه الله - لذا سيكون الحديث عن هذا الإتجاه من خلال حديث المستفيض عن هذا الرجل وعن تحفته الرائعة المسماة (فى ظلال القرآن) .

تفسير (فى ظلال القرآن): سيد قطب
(١٣٢٤ - ١٣٨٧ هـ = ١٩٠٦ - ١٩٦٦م)

التعريف بالمؤلف :

هو : سيد بن قطب بن إبراهيم: مفكر إسلامى مصرى، من مواليد قرية «موشا» أسيوط. تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) سنة ١٣٥٣هـ (١٩٣٤م)

---

(١) بحوث فى أصول التفسير ومناهجه: د. فهد الرومى. ص١٦٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وعمل فى جريدة الأهرام. وكتب فى مجلتى «الرسالة» و«الثقافة» وعين مدرساً للعربية. فموظفاً فى ديوان وزارة المعارف. ثم «مراقباً فنياً» لوزارة. وأوفد فى بعثة لدراسة «برامج التعليم» فى أمريكا (١٩٤٨-١٩٥١) ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنكليز، وطالب ببرامج تتمشى والفكرة الإسلامية .

❐ وبنى على هذا استقالته (١٩٥٣) فى العام الثانى للثورة. وانضم إلى الإخوان المسلمين. فترأس قسم نشر الدعوة وتولى تحرير جريدتهم (١٩٥٣-١٩٥٤) (١).

❐ وحين وقع الصدام بين الإخوان وقادة ثورة يوليو فى مصر كان سيد فى مقدمة المعتقلين ، وحكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً ألف خلالها في السجن تفسيره (فى ظلال القرآن) وكان هذا التفسير من أسباب خروجه من السجن حيث قرأه الرئيس العراقي عبد السلام عارف فتوسط عند جمال عبد الناصر لإخراجه بطلب من علماء العراق، وأفرج عنه سنة ١٩٦٤م فواصل مسيرة الدعوة فأعيد إلى السجن وصدر ضده حكم بالإعدام ونفذ الحكم سنة ١٩٦٦م رغم نداءات العالم الإسلامي واحتجاجاتهم، وقد طلب من سيد أن يكتب اعتذاراً من جمال عبد الناصر ووعدوه بالعفو إن فعل فرفض وقال «إن أصبع السبابة الذى يشهد لله بالوحدانية فى الصلاة ليرفض أن يكتب حرفاً يقر به حكم طاغية». وقال حين طلب من الاعتذار «لن أعتذر عن العمل مع الله» وقال «لماذا أسترحم»؟ إن سجنت بحق فأنا أرضى حكم الحق وإن سجنت بباطل فأنا أكبر من أن أسترحم الباطل» (٢).

❐ ويروى الزركلى أنه لما وقعت النكسة أو (النكبة) عام ١٩٦٧ م قال علال الفارسى: ماكان الله لينصر حرباً يقودها قاتل سيد قطب. (٣)

---

(١) الإعلام: الزركلى ٣ - ١٤٧ .

(٢) بحوث فى أصول التفسير ومناهجه: د. فهد الرمى ص١٦٢ .

(٣) الإعلام: الزركلى ١٤٨/٣.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

□ وله مؤلفات كثيرة منها: «معالم في الطريق» وهو من أهم كتبه ومن أسباب إعدامه[١] ومنها «التصوير الفنى في القرآن» و«مشاهد القيامة فى القرآن» و«المستقبل لهذا الدين» وغير ذلك .

التعريف بالكاتب :

«فى ظلال القرآن» تفسير كامل للحياة فى ضوء القرآن من خلال وصف أدبى غاية فى الروعة وسار مؤلفه من خلال منهج لم يسبق إليه، وأعنى به (منهج التذوق الأدبى للقرآن) فهو يسعى للتفاعل مع المجتمع الذى ترسمه الآيات، «ومطابقته مع المجتمع الحاضر للخروج بمعالم التصحيح ورسم مسار الدعوة والعودة، ثم دراسة الإيقاع الصوتى والجرس اللفظى للكلمات القرآنية، ودراسة التراكيب»[٢].

□ ومما قيل فى هذا الكتاب ماذكره أخوه محمد قطب أنه «الكتاب الذى عاشه صاحبه بروحه وفكره وشهوره وكيانه كله. وعاشه لحظة لحظة، فكرة فكرة، ولفظة لفظة. وأودعه خلاصة تجربته الحية فى عالم الإيمان»[٣].

وقد مر كتاب الظلال بمراحل عديدة، حتى تم له بشكله الحالى[٤] وهذه المراحل هى :

□ **المرحلة الأولى: الظلال فى مجلة «المسلمون» .**

لما أصدر سعيد رمضان مجلة «المسلمون» فى نهاية عام ١٩٥١، طلب من سيد قطب أن يشارك فيها بمقال دائم. فاختار أن يبدأ الكتابة فى تفسير القرآن. تحت عنوان جديد مثير، هو «فى ظلال القرآن» .

---

(١) بحوث فى أصول التفسير ومناهجه: د. فهد الرومى ص، ١٦٢ .

(٢) بحوث فى أصول التفسير ومناهجه: د. فهد الرومى ص١٦٢، ١٦٣ .

(٣) سيد قطب من الميلاد إلى الاستشهاد: د. صلاح الخالدى ص٥٤٤ .

(٤) انظر المصدر السابق ص٥٤٥ - ٥٤٨.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

وبهذا تكون قد ظهرت الحلقة الأولى من «الظلال» فى العدد الثالث من المجلة الذى ظهر فى شهر فبراير «شباط» عام ١٩٥٢م.

□ واستمرت المجلة تنشر حلقات الظلال فى أعدادها اللاحقة بالتتابع، حيث نشرت سبع حلقات، انتهت الحلقة السابعة عند الآية (١٠٣) من سورة البقرة .

□ **المرحلة الثانية: الظلال قبيل اعتقال سيد قطب :**

أعلن سيد فى نهاية الحلقة السابعة من الظلال فى «المسلمون» عن توقف نشر الظلال فى المجلة ابتداء من عددها القادم - العاشر - حيث سينشر فيها حلقات من بحث جديد هو «نحو مجتمع إسلامى» .

□ أما الظلال فسوف يظهر في كتب مستقلة، على عدد أجزاء القرآن، كل جزء من القرآن فى جزء من الظلال ، وسوف يصدر فى كل شهرين جزءاً منها .

□ وفعلاً ظهر الجزء الأول من الظلال فى شهر أكتوبر «تشرين أول» عام ١٩٥٢م، عن دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة.

□ ووفي سيد فى تعهده للقراء، فكان يصدر كل شهرين جزءاً من الظلال، فيه تفسير جزء من القرآن !

□ وفى الفترة مابين أكتوبر «تشرين أول» ١٩٥٢ إلى يناير «كانون الثانى» عام ١٩٥٤م، أصدر ستة عشر جزءاً من الظلال .

□ **المرحلة الثالثة: سيد قطب يكمل الظلال فى السجن :**

قدم سيد للمحاكمة، ثم حكم عليه بالسجن خمسة عشر عاماً .

وفى الفترة الأولى من سجنه لم يصدر أجزاء جديدة من الظلال، بسبب العذاب الرهيب الذى صب عليه.. ولكن لما استقر فى سجن «طرة» وتوقف العذاب عنه، وأدخل مستشفى سجن طرة بسبب أمراضه العديدة، انصرف إلى إكمال الظلال من هناك .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

□ وقد يسر الله لسيد الكتابة فى السجن، وللناشر طبع الظلال، رغم أن لوائح السجون تمنع الكتابة داخلها، ولاتسمح للسجين امتلاك أدوات الكتابة، وتعاقبه إن ضبطت فى حوزته .

□ وذلك أن سيد كان قد تعاقد مع الناشر - دار إحياء الكتب العربية - على كتابة تفسير كامل للقرآن. فلما منعته الحكومة من الكتابة داخل السجن، رفع الناشر على الحكومة دعوى، يطالبها فيها بدفع آلاف الجنيهات، تعويضاً له عن الضرر الذى وقع به بسبب ذلك. واختارت الحكومة السماح لسيد بالكتابة، بدل دفع التعويض للناشر .

□ وادعى عبد الناصر للعلماء الباكستانيين أن سيد ليس سجيناً، بل هو حر طليق، بدليل نشر الظلال فى القاهرة! وصار الموظفون الرسميون فى الخارج يجيبون بجواب الرئيس إذا سئلوا عن سيد قطب !

□ وقد عينت الحكومة الشيخ محمد الغزالى رقيباً دينياً على الظلال، يطلع على أصوله قبل صدورها من المطبعة، وقد أجاز الغزالى كل أجزاء وملازم الظلال فى طبعته الأولي. ولم يحذف منها إلا تعقيب سيد على سورة البروج. الذى نشره بعد ذلك فى فصل «هذا هو الطريق» من كتاب «معالم فى الطريق».

وقد أكمل سيد الظلال فى السجن فى نهاية الخمسينيات .

□ **المرحلة الرابعة: الطبعة المنقحة للظلال :**

كان تفسير سيد فى الطبعة الأولى من الظلال لايعدو أن يكون تسجيلاً لخواطره المتنوعة حول الآيات، وبياناً لما فيها من جمال وفن وتصوير وعرضاً لبعض ماتضمنته من مبادئ ومناهج .

ولكنه فى سجن طالت حياته مع القرآن، وتفكيره هى فى الأحداث المتوالية والمحن المتتابعة، التى مرت به وبالإخوان المسلمين، وتعليله سر هذه

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الأحداث، ونظره فى منهج الحركة الإسلامية، فى الدعوة والتربية والإصلاح والجهاد والتغيير .

□ ولذلك دعت الحاجة إلى أن يعيد تفسير القرآن على أساس هذا المنهج الحركى الجديد، وأن يعيد كتابة الظلال ليضمنه هذه المعانى الجديدة .

□ وهكذا جاءت الطبعة المنقحة من الظلال، والتى أصدر الجزء الأول منها فى مطلع عام ١٩٦٠م، عن دار إحياء الكتب العربية .

□ كتب سيد الأجزاء العشرة الأولى من الطبعة المنقحة، على ضوء منهجه الحركى الجديد، فى فهم القرآن وتفسيره، وكان يسهب القول فيها، ويطيل النفس، ويكثر من التفسير.. وكانت أطول وأعمق وقفاته، تلك التى تتعلق بقضايا: العقيدة والدعوة والحركة والجهاد والتشريع والجاهلية .

□ وكان الجزءان السابع والثامن - اللذان ضما تفسيره لسورة الأنعام - هما أكثر الأجزاء تركيزاً وأنضجها فكراً، وأوضحها دلالة على منهجه الحركى الجديد .

□ ولما أفرج عنه بعفو صحى عام ١٩٦٤م تابع كتابة الأجزاء، فنشر الأجزاء: الحادى عشر، والثانى عشر، والثالث عشر .

□ وبذلك يكون قد وصل إلى الطبعة المنقحة من الظلال إلى آخر الجزء الثالث عشر، الذى تنتهى به سورة إبراهيم عليه السلام .

□ وكان سيد يريد أن يكمل كتابة باقى الأجزاء من الرابع عشر حتى السابع والعشرين على أساس منهجه الحركى الجديد في التفسير .

□ ولكن الطغاة عجلوا باعتقاله ثم محاكمته ثم إعدامه، قبل تحقيق أمنيته!. أ. هـ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

طريقة سيد قطب فى تفسيره :

تفسير الظلال من الكتب الذائعة الإنتشار بين الناس فقد طبعت طبعات عديدة، ولعل السر فى هذا القبول الذى حازه هذا التفسير ماقاله أستاذنا الدكتور أحمد حسن فرحات بأن «سيد قطب كتب الظلال مرتين: مرة بمداد العالم، ومرة بدماء الشهيد»(١).

وأما طريقة سيد قطب فى تفسيره :

١ - يأتى المؤلف أولاً بظلاله فى مقدمة السورة، تربط بين أجزائها، وتوضح أهدافها ومقاصدها .

٢ - ثم يشرع بعد ذلك فى التفسير فيبذكر المأثور الصحيح .

٣ - وهو يضرب صفحاً عن المباحث اللغوية مكتفياً بالإشارة العابرة، ويتجه إلى إيقاظ الوعى، وتصحيح المفاهيم، وربط الإسلام بالحياة.(٢)

مزايا تفسير الظلال :

لقد صاغ سيد قطب تفسيره الظلال «صياغة عصرية بأسلوب أدبى ممتع، وتحليل وعرض تتوسم فيها جمال الصياغة وحسن الديباجة، ووضح العبارة وبلاغتها، مستعيناً على ذلك بما أوتى من ثقافة واسعة وإطلاع عميق، ومقدرة فائقة على إمتلاك زمام الأدب والنقد اللذين برع فيهما، وبما أوتى من مقدرة على تحليل النصوص واستكناه أسرارها، وتسليط الأضواء علي الجواهر الخفية التى استترت وراء الألفاظ القرآنية مستعيناً بقواعد النقد وعلم النفس وعلم الإجتماع والإقتصاد، وبعض العلوم الحديثة الأخرى.(٣)

---

(١) المصدر السابق: ص٥٤٤ .

(٢) انظر مباحث علوم القرآن: مناع القطان ٣٧٤ .

(٣) مناهج المفسرين: د. مساعد مسلم ص٢٦٧ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ ولقد امتاز منهج سيد قطب فى كتابه الظلال بمزايا عديدة وفريدة فى آن واحد وهى تقوم على هذه الأسس[١] .

الأساس الأول: الأسلوب الأدبى :

آتى الله سبحانه وتعالى سيد قطب - رحمه الله تعالى - موهبة أدبية رائعة وأسلوباً أدبياً سامياً. لايشك فى ذلك إثنان وفى أنه استخدم هذه الموهبة فى تفسيره خير استخدام ولعل هذا من أسباب القبول الذى لقيه الكتاب بين المسلمين فى عصرنا هذا .

❐ وقد انفرد سيد - رحمه الله تعالى - بهذا الأسلوب من بين كثير من المفسرين فى القديم وفى الحديث فلا تكاد - مهما بلغ جهدك - أن تجد أحداً يجاريه فى أسلوبه الأدبى المميز وإنك لتشعر إن كنت ممن يتذوقون الأساليب أن فيما يكتب سيد إشراقاً وعذوبة وروحاً، قلما تبدو فيما يكتبه الآخرون .

❐ ونحن نظلم تفسيره ونبخسه حقه إن اخترنا مثالاً لذلك موهمين أن مااخترنا هو الأمثل فكل تفسيره بلغ الرتبة وكلها كانت له تلك المنزلة حين نختار مثلاً فليس لمزيد فضل فيه وإنما للتوضيح والبيان وضرب المثل فحسب.

أ - يقول المفسر فى قوله تعالى ﴿وجوه يومئذ ناضرة* إلي ربها ناظرة﴾[٢] ومالها تنضر وهى إلى جمال ربها تنظر ؟

❐ إن الإنسان لينظر إلى شئ من صنع الله فى الأرض. من طلعة بهية، أو زهرة ندية، أو جناح رفاف، أو روح نبيل، أو فعل جميل. فإذا السعادة تفيض من قلبه على ملامحه، فيبدو فيها الوضاءة والنضارة. فكيف بها حيث تنظر إلى جمال الكمال. مطلقاً من كل مافى الوجود من شواغل عن السعادة

---

(١) بتصرف من كتاب اتجاهات التفسير فى القرآن القرن الرابع عشر: د. فهد الرومى ٣/٩٩٩-١٠٥٠.

(٢) القيامة: ٢٢، ٢٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

بالجمال؟ فماتبلغ الكينونة الإنسانية ذلك المقام، إلا وقد خلصت من كل شائبة تصدها عن بلوغ ذلك المرتقى الذى يعز على الخيال! كل شائبة لاقيما حولها فقط، ولكن فيها هى ذاتها من دواعى النقص والحاجة إلى شئ ماسوى النظر إلى الله..»[١].

ب - وعند تفسيره قوله تعالى من سورة القصص ﴿**وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم ولاتخافى ولاتحزنى إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين* فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين* وقالت امرأة فرعون قرت عين لى ولك لاتقتلوه عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً وهم لايشعرون**﴾.

❐ يقول سيد قطب: لقد ولد موسى فى ظل تلك الأوضاع القاسية التى رسمها قبل البدء فى القصة، ولد والخطر محدق به، والموت يتلفت عليه، والشفرة مشرعة على عنقه، تهم أن تحتز رأسه .

❐ وهاهى ذى أمة حائرة به، خائفة عليه، تخشى أن يصل نبؤه إلى الجلادين، وترجف أن تتناول عنقه السكين. هاهى ذى بطفلها الصغير فى قلب المخافة، عاجزة عن حمايته، عاجزة عن إخفائه، عاجزة عن حجز صوته الفطرى أن ينم عليه، عاجزة عن تلقينه حيلة أو وسيلة.. هاهى ذى وحدها ضعيفة عاجزة مسكينة .

❐ وهنا تتدخل القدرة، فتتصل بالأم القلقة المذعورة، وتلقى في روعها كيف تعمل وتوحى إليها بالتصرف :

﴿وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه، فإذا خفت عليه فألقيه فى اليم، ولاتخافى ولاتحزنى﴾.

---

(١) فى ظلال القرآن: سيد قطب ٦/ ٣٧٧٠ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

يالله! ياللقدرة! ياأم موسى أرضعيه، فإذا خفت عليه وهو فى حضنك. وهو فى رعايتك. إذا خفت عليه وفى فمه ثديك، وهو تحت عينيك. إذا خفت عليه ﴿فألقيه فى اليم﴾!!

﴿ولاتخافى ولاتحزنى﴾ إنه هنا.. فى اليم.. فى رعاية اليد التى لاأمن إلا فى جوارها، اليد التى لاخوف معها. اليد التى لاتقرب المخاوف من حماها. اليد التى تجعل النار برداً وسلاماً، وتجعل البحر ملجأ ومناماً. اليد التى لايجرؤ فرعون الطاغية الجبار ولاجبابرة الأرض جميعاً أن يدنوا من حماها الآمن العزيز الجناب.

﴿إنا رادوه إليك﴾.. فلا خوف على حياته ولاحزن على بعده..

﴿وجاعلوه من المرسلين﴾... وتلك بشارة الغد، ووعد الله أصدق القائلين.

□ هذا هو المشهد الأول فى القصة. مشهد الأم الحائرة الخائفة القلقة الملهوفة تتلقى الإيحاء المطمئن المبشر المثبت المريح. وينزل هذا الإيحاء على القلب الواجف المحرور برداً وسلاماً. ولايذكر السياق كيف تلقته أم موسى، ولاكيف نفذته. إنما يسدل الستار عليها، ليرفعه فإذا نحن أمام المشهد الثانى: ﴿فالتقطه آل فرعون﴾.

أهذا هو الأمن، أهذا هو الوعد؟ أهذه هى البشارة؟

□ وهل كانت المسكينة تخشى عليه إلا من آل فرعون؟ وهل كانت ترجف إلا أن ينكشف أمره لآل فرعون؟ وهل كانت تخاف أن يقع فى أيدى آل فرعون؟

□ نعم! ولكنها القدرة تتحدى. تتحدى بطريقة سافرة مكشوفة. تتحدى فرعون وهامان وجنودهما. إنهم ليتتبعون الذكور والأرصاد على قوم موسى كى لايفلت منهم طفل ذكر.. فهاهى ذى يد القدرة تلقى فى أيديهم بلا بحث ولاكد بطفل ذكر. وأى طفل؟ إنه الطفل الذى على يديه هلاكهم أجمعين! هاهى ذى تلقيه فى أياديهم مجرداً من كل قوة من كل حيلة، عاجزاً عن أن يدفع عن نفسه أو حتى يستنجد! هاهى ذى تقتحم به على فرعون حصنه وهو

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الطاغية السفاح المتجبر، ولاتتعبه فى البحث عنه فى بيات بنى إسرائيل هاهى ذى تعلن عن مقصدها سافرة متحدية :

﴿ليكون لهم عدواً وحزناً﴾.

ليكون لهم عدواً يتحداهم وحزناً يدخل الهم على قلوبهم :

﴿إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا خاطئين﴾..

□ ولكن كيف؟ كيف وهاهو ذا بين أيديهم، مجرداً من كل قوة، مجرداً من كل حيلة؟ لندع السياق يجيب: ﴿وقالت امرأة فرعون: قرة عين لى ولك، لاتقتلوه، عسى أن ينفعنا أو نتخذه ولداً، وهم لايشعرون﴾.. لقد اقتحمت به يد القدرة علي فرعون قلب امرأته، بعدما اقتحمت به عليه حصنه. لقد حمته بالمحبة. ذلك الستار الرقيق الشفيف. لابالسلام وبلا بالجاه ولابالمال. حمته الحب الحانى في قلب امرأة. وتحدث به قسوة فرعون وغلظته وحرصه وحذره.. وهان فرعون على الله أن يحمى منه الطفل الضعيف بغير هذا الستار الشفيف !

﴿قرة عين لى ولك﴾...

وهو الذى تدفع به يد القدرة إليهم ليكون لهم - فيما عدا المرأة - عدواً وحزناً ﴿ لاتقتلوه﴾..[1]

الأساس الثانى: تذوق النص القرآن :

ونقصد بهذا معنى دقيقاً يشعر به كل من يواجه النصوص القرآنية ابتداء وينسكب في حسه بمجرد الاستماع لهذا القرآن وقد يستطيع أن يترجمه إلى كلمات وقد لايستطيع، فيبدو على قسمات وجهه عجباً ودهشة لروعة القرآن... يسمى تذوقاً للنص ويسميه آخرون انطباعاً ذاتياً .

---

(١) المصدر السابق: ٥/٢٦٧٨-٢٦٧٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ واسمع إلى سيد قطب - رحمه الله تعالى - يقول: «إن فى هذا القرآن سراً خاصاً يشعر به كل من يواجه نصوصه ابتداءً. قبل أن يبحث عن مواضع الإعجاز فيها. إنه يشعر بسلطان خاص فى عبارات هذا القرآن.. يشعر أن هنالك شيئاً ما وراء المعانى التى يدركها العقل من التعبير. وأن هناك عنصراً ماينسكب فى الحس بمجرد الاستماع لهذا القرآن. يدركه بعض الناس واضحا ويدركه بعض الناس غامضاً. ولكنه على كل حال موجود. هذا العنصر الذى ينكسب فى الحس يصعب تحديد مصدره: أهو العبارة ذاتها؟ أهو المعنى الكامن فيها؟ أهو الصور والظلال التى تشعها؟ أهو الإيقاع القرآنى الخاص المتميز من إيقاع سائر القول المصوغ من اللغة؟ أهى هذه العناصر كلها مجتمعة؟ أم أنها هى وشئ آخر وراءها غير محدود؟!

❐ ذلك سر مودع فى كل نص قرآنى. يشعر به كل من يواجه نصوص هذا القرآن ابتداء.. ثم تأتى وراءه الأسرار المدركة بالتدبر والنظر والتفكير فى بناء القرآن كله»[1].

❐ ولعلك تدرك مكانة هذا السر عند سيد إذا علمت أن الأسرار المدركة بالتدبر والنظر.. إلخ، تأتى وراءه .

الأساس الثالث: الواقعية.. الحركية :

يتميز «فى ظلال القرآن» أن صاحبه لم يكتبه مرة واحدة، بل كتبه مرة تحت ظلال المنبر ومرة تحت ظلال السيوف.. كتبه مرة بمداد قلمه وأخرى بدماء قلبه!!

❐ لقد أصدر سيد من الظلال ستة عشر جزءاً ومن السجن أصدر باقية.. من أول أجزائه إلى الجزء السابع والعشرين منها، ثم وفقه الله إلى إدراك سمة

---

(١) المصدر السابق: ٦/٣٣٩٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

من سمات هذا الدين وخصيصة من خصائصه واكتشف المنهج الحركى للقرآن فالتزمه فى الأجزاء الأربعة الأخيرة.. ورأى أنه لابد من إعادة النظر فيما كتب وأن ينطلق فى ذلك من إدراكه الجديد وقد كان له ذلك من الجزء الأول إلى نهاية الجزء الثالث عشر وأوائل الرابع عشر، ثم عاجله الطغاة .

□ وماظنكم - أيها الأحبة - فى قاعدة دعته إلى أن يعيد كتابة تفسيره من أوله وأن يكتبه من جديد. إنها وربى لقاعدة هامة ولأساس متين، بل وكيف نسمع لأنفسنا باستكشاف منزلتها وسيد نفسه قد بين ذلك، حيث يقول :

□ ونحن نؤكد على هذه السمة فى هذا القرآن.. سمة الواقعية الحركية.. لأنها في نظرنا مفتاح التعامل مع هذا الكتاب وفهمه وفقهه وإدراك مراميه وأهدافه .

□ إنه لابد من استصحاب الأحوال والملابسات والظروف والحاجات والمقتضيات الواقعية العملية التى صاحبت نزول النص القرآنى..»[١].

الأساس الرابع: التفسير الجمالى الفنى :

ويقصد سيد قطب بالجمال الفنى أى العرض الجمالى، وتنسيق الأداء فى ثنايا كلام الله عز وجل فهو يصف الجمال الفنى الصادق بأنه «الذى لايعتمد على الخلق والتزويق ولكن يعتمد على إبداع العرض.. وقوة الحق. وجمال الأداء»[٢].

□ وقد يقول سائل - فى شبه اعتراض - أو ليس هذا الأساس هو الأساس الأول الذى تحدثت عنه في منهج سيد قطب - رحمه الله تعالى-؟

---

(١) المصدر السابق: ٤/٢١٢٢ .

(٢) المصدر السابق: ١/٥٥ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ويقال لهذا السائل: كلاً إجمالاً أما إن شئت البيان فإن المراد بالجمال الفنى هو تلكم الصورة الرائعة التى ترسمها نصوص القرآن الكريم حتى لتحسب كل كلمة منه خطاً من خطوط الصورة أو ذلك المعنى السامى الذى تسوقه تلك النصوص أما الأساس الأول فهو حسن البيان والوصف لهذه الصورة القرآنية وحسن التعبير والبيان عن هذه المعانى السامية أما أن بينهما تدخلاً فنعم وأما أنهما معنى واحد فلا .

□ وقد يكتشف مفسر الصورة الجمالية فى القرآن الكريم ويبرز أطرافها ويوضح خطوطها معالمها وظلالها وإشراقها لكنه قد يسوق ذلك كله بأسلوب أدبى يزيد الصورة جمالاً إلى جمالها.. وقد لايستطيع فتبقى الصورة جميلة زاهية وحدها. وقد تمز تفسير سيد قطب - رحمه الله تعالى - بالجمع بين هذا وذاك .

الأساس الخامس: استحياء النص دون مقررات سابقة :

ولايقصد بالمقررات السابقة السنة النبوية أو علوم القرآن الكريم أو اللغة ونحو ذلك مما لابد من توفره عند المفسر قبل مزاولته التفسير وإنما يقصد بها رواسب الثقافات التى لاتستقى من القرآن ذاته وقد وضح - رحمه الله تعالى - ذلك بما لايحتاج إلى بيان حيث قال: «ومنهجنا فى استلهام القرآن الكريم ألا نواجهه بمقررات سابقة إطلاقاً. لامقررات عقلية ولامقررات شعورية ومن رواسب الثقافات التى لم نستقها من القرآن ذاته - نحاكم إليه نصوصه أو نستلهم معانى هذه النصوص وفق تلك المقررات السابقة. لقد جاء النص القرآنى - ابتداء لينشئ المقررات الصحيحة التي يريد الله أن تقوم عليها تصورات البشر، وأن تقوم عليها حياتهم وأقل مايستحقه هذا التفضل من العلى الكبير وهذه الرعاية من الله ذى الجلال - وهو الغنى عن العالمين - أن يتلقوها وقد فرغوا لها قلوبهم وعقولهم من كل غبش دخيل، ليقو تصورهم الجديد نظيفاً من كل رواسب الجاهليات - قديمها وحديثها على السواء مستمداً من تعليم الله وحده لامن ظنون البشر، التى لاتغنى من الحق شيئاً .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

□ ليس هناك إذن مقررات سابقة نحاكم إليها كتاب الله تعالى إنما نحن نستمد مقرراتنا من هذا الكتاب ابتداء. ونقيم على هذه المقررات تصوراتنا ومقرراتنا وهذا - وحده - هو المنهج الصحيح فى مواجهة القرآن الكريم وفى استلهامه خصائص التصور الإسلامى ومقوماته.»[١]

الأساس السادس - الوحدة الموضوعية :

جرى سيد قطب - رحمه الله تعالى - على أن يقسم السورة الواحدة إلى مجموعات من الآيات يتناول كل مجموعة منها بدرس مستقل ولم ينقص هذا من منزلة الوحدة الموضوعية في القرآن الكريم بل اهتم اهتماماً واضحاً فى شتى جوانبها وأشكالها حتى عده الدكتور عدنان زرزور «أول مفسر فى تاريخ القرآن الكريم أبرز الوحدة الموضوعية فى السورة القرآنية المفردة طالت أم قصرت! أبرزه بشكل علمى مكتوب أوطبقه أروع تطبيق وأعمقه فى كتابه العظيم - رحمه الله - والذين سبقوا سيداً من المفسرين منهم من من لم يلاحظها ولم يسلم بوجودها ومنهم من ذهب إلى القول بها لكنه عجز عن ملاحظتها فيما كتبه للناس من تفسير لكتاب الله تعالى ثم جاء سيد ليؤكد هذه الوحدة المحورية فى السورة الواحدة وليضع أيدينا بعد ذلك برفق وسهولة ولين على وجه الإنتقال من موضوع إلى موضوع»[٢].

الأساس السابع: ترك الإطناب عما أبهم فى القرآن الكريم :

وماالذى يتصوره غير ذلك من رجل يدخل التفسير دون مقررات سابقة إلا ماقرره الكتاب والسنة .

---

(١) خصائص التصور الإسلامى ومقوماته: سيد قطب ص١٤، ١٥ .

(٢) علوم القرآن الكريم: د. عدنان زرزور ص، ٤٣١ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

فإذا كان القرآن أوجز الحديث عن أمر فمن أين يؤتى بدقائق تفصيله من غير السنة الرسول ﷺ. لهذا فقد أعرض سيد - رحمه الله تعالى - عن الخوض فيما أبهمه القرآن الكريم، ولم يرد بيانه فى السنة، وكان هذا من منهجه .

الأساس الثامن: ترك الاختلافات الفقهية :

فلم يقلب - رحمه الله تعالى- كتابه إلى كتاب فى الفقه بل كان يحيل فى المسائل الفرعية إلى كتب الفقه وأنه لامجال لإيرادها فى الظلال .

□ فقال عن آيات المواريث فى سورة النساء مثلاً: «هذه الآيات الثلاث تتضمن أصول علم الفرائض - أى علم الميراث - أما التفريعات فقد جاءت اسنة ببعضها نصاً، واجتهد الفقهاء في بقيتها على هذه الأصول. وليس هناك مجال للدخول فى هذه التفريعات والتطبيقات فمكانها كتب الفقه - فنكتفي - فى ظلال القرآن - بتفسير هذه النصوص والتعقيب على ماتضمنته من أصول المنهج الإسلامى»(١).

الأساس التاسع: اجتناب الإغراق فى المسائل اللغوية :

عندما أصدر سيد قطب - رحمه الله تعالى - كتابه «مشاهد القيامة في القرآن» قال في مقدمته عن القرآن الكريم «والقرآن الكريم: هذا الكتاب المعجز الجميل هو أنفس ماتحويه المكتبة العربية علي الإطلاق فلا أقل من أن يعاد عرضه، وأن ترد إليه جدته، وأن يستنقذ من ركان التفسيرات اللغوية والنحوية والفقهية والتاريخية والأسطورية أيضاً...»(٢).

---

(١) فى ظلال القرآن: سيد قطب ١/ ٥٩٠ .

(٢) مشاهدة القيامة فى القرآن: سيد قطب، ص٩ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

❐ وحين ألف «فى ظلال القرآن» لم ينس هذا فنص فى مقدمته على محاولته لذلك فقال: «كل ماحاولته ألا أغرق نفسى فى بحوث لغوية أو كلامية أو فقهية تحجب روحى عن القرآن وماستطردت إلى غير مايوحيه النص القرآنى وماستطردت إلى غير مايوحيه النص القرآنى ذاته من خاطرة روحية أو اجتماعية أو إنسانية. ومأحفل القرآن بهذه الإيحاءات»[١].

الأساس العاشر: رفض التفسير العلمى :

وعمداً أخر هذا الأساس فى منهجه لعل القارئ يستخرجه بنفسه من استقراء الأسس السابقة .

❐ ماالذى تتوقعه من رجل يستوحى النص دون مقررات سابقة ويقف حيث يقف النص ويعرض عن الإطناب فيما أبهمه القرآن ويحذر من الإسرائيليات ويترك الخوض فى الاختلافات الفقهية ويجتنب الإغراق فى المسائل اللغوية يفعل كل هذا محافظة على الوقوف عند مدلول النص وعندما يقرره النص .

من يستقرئ هذه الأسس عند سيد قطب - رحمه الله تعالى - يظهر له أن سيداً سيرفض التفسير العلمى .

المآخذ على تفسير سيد قطب :

كتاب الظلال عظيم النفع لم يؤلف مثله، وله مزايا عديدة سبق الإشارة إلى بعضها، وهو - كأى عمل بشرى - لايخلو من أخطاء وقع فيها مؤلفه، وقد تدارك المؤلف بعضاً منها، وغفل عن البعض الآخر .

❐ وهذه الأخطاء لاتنقص أبداً من قدر هذا العمل العظيم، ولكن لابد من الإشارة إلى شئ منها .

---

(١) فى ظلال القرآن: سيد قطب ١/٦ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

□ فمن هذه الملاحظات أنه «أول بعض الصفات مثل الإستواء والعلو والكلام والمحبة واليد، وقال: «لم أعثر على أحاديث صحيحة فى شأن الكرسى والعرش تفسير وتحدد المراد مما ورد منها فى القرآن!! وقال عند قوله تعالى: ﴿وماقدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه﴾[١]. قال: «وكل ماورد فى القرآن وفي السنة من مثل هذه إنما هو تقريب للحقيقة! فالله تبارك وتعالى وضعها فى اسلوب يقرب بها ويمثلش[٢] وهذه عبارة الزمخشرى»[٣].

□ ومما يؤخذ علي تفسير الظلال أنه رغم اهتمام المؤلف بالتفسير المأثور واستناده على كثير منها إلا أنه «أحياناً يورد بعض الأحاديث الضعيفة من غير بيان درجتها وينسبها أحياناً لغير كتب الرواية»[٤].

ونظراً لتعلق سيد قطب بالأسلوب الأدبى فقد كان رحمه الله يقع في أساليب أدبية بحتة لم تهذبها العقيدة الصحيحة، ولعل مرد ذلك أن ثقافة سيد - رحمه الله تعالى - كانت فى أولها ثقافة أدبية تحول بعدها إلى الدراسة الشرعية وراح يستدرك بالأخيرة ماأوقعته فيه الأولى وفات عليه فى استدراكه فى هذه العبارات ومنها قوله عن توكل المؤمن على ربه واطمئنانه إلى موقفه وطريقه «إنها كلمة المطمئن إلى موقفه وطريقه. المالئ يديه من وليه وناصره..»[٥] ومنها وصفه للبشرية بأنها «لن تجد السعاد إلا حين ترد الفطرة البشرية إلى صانعها الكبير كما ترد الجهاز الزهيد إلى صانعه الصغير»[٦]

---

(١) الزمر: ٦٧ .

(٢) فى ظلال القرآن: سيد قطب ٣٠٦٣/٥ .

(٣) القول المختصر المبين: محمد الحمود ص٨٤ .

(٤) اتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر: د. فهد الرومى ١٥٢/٣ .

(٥) المصدر السابق: ١٠٥٤/٣.

(٦) المصدر السابق: ١٠٥٢/٣ .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

ومنها وصفه للصلة بين العبد وربه «حين يرفع الله عباده الذى يؤثرونه ويحبونه إلي مرتبة يتحرج القلم من وصفها لولا أن فضل الله يجود بها مرتبة الصداقة.. الصداقة بين الرب والعبد..»..!! ونحو ذلك من العبارات التى لانرتضيها ولانظنه - رحمه الله تعالى - وغفر لنا وله إلا وقد كتبها أثناء تأثره بالثقافة الأدبية وقبل أن تصقل فكرة الدراسة الشرعية وفات عليه استدراكها بعد ذلك» .

□ وقد وردت أخطاء أخرى لامجال لذكرها هاهنا، وقد ألف الشيخ عبدالله بن محمد الدويش كتاباً سماه «المورد الزلال فى التنبيه على أخطاء تفسير الظلال» تعقب على هذا التفسير فى نحو أحد وثمانين ومائة موضع، وقد اعتذر عن سيد قطب في سبب هذه الأخطاء جملة ماسبق الإشارة إليه آنفاً «أن الرجل كان أدبي الثقافة واتجه إلى تفسير القرآن الكريم من هذا المنطلق ومن هذا الواقع فكان فى تفسيره ماكان.. ومرّ حين اتجه - رحمه الله تعالى - إلى استدراك مافاته فسعى للدراسات الشرعية وانطلق من واقعها إلى تنقيح ماكتب وتقويم مااعوج فكان له ذلك في أكثره وبقى أقله وهو القليل لايزال بحاجة إلى هذا التنقيح لكنه لقلته لايكاد يذكر بجانب محاسنه»[1]. نسأل الله أن يغفر لنا وله وأن يتغمده فسيح جناته .

---

(١) المصدر السابق: ٣/١٠٥٢.

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

الفهارس

فهرس المراجع

١ - القرآن الكريم .

٢ - إتجاهات التجديد فى تفسير القرآن الكريم فى مصر - د. محمد إبراهيم شريف ط (١) ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م - دار التراث القاهرة .

٣ - إتجاهات التفسير فى القرن الرابع عشر - د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومى ط (١) ١٤٠٧هـ - ١٩٨٦م .

٤ - الإتجاهات الفكرية فى التفسير - د. الشحات السيد زغلول - ط (٢) ١٤٠٧هـ - ١٩٧٧ م .

٥ - الإتجاهات المحرفة فى تفسير القرآن الكريم دوافعها ودفعها - د. محمد حسين الذهبى - ط (٣) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - مكتبة وهبة - القاهرة .

٦ - آدم عليه السلام كما تحدث القرآن الكريم - د. عبد الغنى الراجحى - مؤسسة مكة المكرمة - القاهرة .

٧ - أراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره - د. عمر بن إبراهيم رضوان ط (١) ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م - دار طيبة - الرياض .

٨ - الإسرائيليات فى التفسير والحديث د. محمد بن حسين الذهبى - ط (٣) ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - دار التوفيق النموذجية - القاهرة.

٩ - الإصابة فى تمييز الصحابة - ابن حجر العسقلانى - دار الكتاب العربى - بيروت - لبنان .

١٠- أصول التفسير وقواعده - خالد عبد الرحمن - ط (٢) ١٩٨٥ - دار النفائس - بيروت .

١١- الأعلام خير الدين الزركلى - ط (٦)- ١٩٨٤م - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

١٢- بحوث في أصول التفسير ومناهجه د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومى - ط (١) ١٤١٣هـ -مكتبة التوبة - الرياض .

١٣- بحوث فى تفسير القرآن الكريم (تاريخه، اتجاهاته، مناهجه) - د.محمد إبراهيم شريف - ط (٢) ١٤٠٦ه - ١٩٨٦م .

١٤- البرهان فى علوم اقرآن - بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشى - تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم - ط (٣) ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - دار التراث - القاهرة .

١٥- التحبير فى علم التفسير للسيوطى - تحقيق د. فتحى عبد القادر - ط - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م- دار المنار للنشر والتوزيع- القاهرة.

١٦- تفسير البغوى المسمى معالم التنزيل - د. خالد عبد الرحمن العك - مروان سوار - ط (٢) - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - دار المعرفة - بيروت - لبنان .

١٧- تفسير الثعالبى الموسوم جواهر الحسان فى تفسير القرآن - مؤسسة الأعلمى للمطبوعات - بيروت - لبنان .

١٨- تفسير الجلالين - جلال الدين محمد بن أحمد المحلى - وجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السوطى - دار المعرفة - بيروت .

١٩- تفسير سفيان بن عيينة - أحمد- صالح - مجايرى - المكتب الإسلامى مكتبة أسامة .

٢٠- تفسير الفخر الرازى - محمد الرازى فخر الدين - ط (٣) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - دار الفكر - بيروت - لبنان .

٢١- تفسير القرآن الكريم - بحر العلوم - لأبى الليث نصر بن محمد بن أحمد بن إبراهيم السمرقندى. د. عبد الرحيم أحمد الزقة - ط (١) ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - مطبعة الإرشاد - بغداد .

٢٢- تفسير القرآن المرتب منهج لليسر التربوى - د. أسعد علمى دار السؤال للطباعة والنشر - دمشق .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٢٣- تفسير كتاب الله العزيز - هود بن محكم الهوارى - تحقيق بالحاج بن سيعد شريفى ط (١) ١٩٩٠ - دار الغرب الإسلامى - بيروت - لبنان.

٢٤- تفسير الكشاف - الزمخشرى- الدار العالمية - بيروت .

٢٥- التفسير والمفسرون - د. محمد حسين الذهبى - ط (٤) ١٤٠٩هـ - ١٩٧٩م - مكتبة وهبة - القاهرة .

٢٦- التفسير ومناهجه - د. محمد بسيونى فودة - القاهرة .

٢٧- كتاب تهذيب التهذيب للإمام شهاب الدين أحمد بن على بن حجر العسقلانى - ط (١) - ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - دار الفكر .

٢٨- جامع البيان في تفسير القرآن - للطبرى - دار الحديث - القاهرة .

٢٩- حاشية مقدمة التفسير - عبد الرحمن بن محمد بن قاسم الحنبلى النجدى .

٣٠- دراسات حول القرآن الكريم - د. إسماعيل أحمد الطحان - د (٢) - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨ م- كلية الفلاح - الكويت .

٣١- دراسات فى القرآن الكريم - د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومى - ط (١) - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م - مكتبة التوبة - الرياض .

٣٢- دراسات فى مناهج المفسرين - د. إبراهيم بن عبد الرحمن محمد خليفة - ط (١) - ١٩٧٩م - ١٣٩٩هـ - مكتبة الأزهر - القاهرة .

٣٣- دراسات قرآنية - د. محمد عبد المنعم القيعى - ط (٢) ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م .

٣٤- دقائق التفسير الجامع لتفسير الإمام ابن تيمية - تحقيق - د. محمد السيد الجليند - ط (٢) - ١٤٠٤هـ ١٩٨٤م - مؤسسة علوم القرآن - دمشق .

٣٥- سيد قطب من الميلاد إلي الإستشهاد - د. صلاح الخالدى - ط (١) - ١٤١١هـ - ١٩٨٥م -مؤسسة الرسالة - بيروت .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٣٦- سير أعلام النبلاء - تصنيف الإمام شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى - تحقيق - شعيب الأرنؤوط - مأمون الصاغرجى - ط(٣)- ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - مؤسسة الرسالة - بيروت .

٣٧- صحيح البخارى - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخارى - المكتبة الإسلامية استانبول - تركيا .

٣٨- صحيح مسلم بشرح النووى - ط (٢) - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م - دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان .

٣٩- طبقات المفسرين تصنيف الحافظ شمس الدين محمد بن على بن أحمد الداوودى - ط ١٠) - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - دار الكتل العلمية - بيروت - لبنان .

٤٠- علوم القرآن مدخل إلى تفسير القرآن وبيان إعجازه - د. عدنان بن محمدبن زرزور - المكتب الإسلامى .

٤١- فى ظلال القرآن - سيد قطب - ط (٥) - ١٣٨٦هـ - ١٩٦٧م - دار إحياء التراث العربى - بيروت - لبنان .

٤٢- القاموس المحيط - مجد الدين محمد بن يعقوب الفيروزأبادى - ط (٢) ١٣٧١هـ - ١٩٥٢م - مكتبة مصطفى البابى الحلبى - وأولاده - القاهرة.

٤٣- القرطبى المفسر (سيرة ومنهج) - يوسف عبد الرحمن الفرت - ط (١) - ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م - دار القلم - الكويت .

٤٤- قضايا قرآنية فى الموسوعة البريطانية - د. فضل حسن عباس - ط (٢) - ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م - دار النشر - عمان - الأردن .

٤٥- القول المختصر المبين - محمد الحمود - ط (١)- ١٤١٢هـ - مكتبة الذهبى .

٤٦- مباحث فى التفسير الموضوعى - د. مصطفى مسلم - ط ١٠) - ١٤١٠هـ - ١٩٨٩م دار القلم -دمشق - سوريا .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٤٧- مباحث فى علوم القرآن - د. صبحى الصالح - ط (١٧) - ١٩٨٨م - دار العلم للملايين - بيروت - لبنان .

٤٨- مباحث فى علوم القرآن - مناع القطان - ط (١٢)- ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - مؤسسة الرسالة - بيروت .

٤٩- المحرر الوجيز فى تفسير الكتاب العزيز للقاضى أبى محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسى - ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م .

٥٠- مختار الصحاح للإمام محمد بن أبى بكر الرازى - د. مصطفى ديب البغا - اليمامة - بيروت - دمشق .

٥١- مختصر تفسير ابن كثير - تحقيق - محمد على الصابونى - ط (٥)- ١٤٠٦هـ - ١٩٦٨م - دار القلم - بيروت .

٥٢- المدخل إلي التفسير الموضوعى - د. عبد الستار فتح الله سعيد - دار الطباعة والنشر الإسلامى .

٥٣- المدخل لدراسات القرآن الكريم - د. محمد بن محمد أبو شهبة - ط (١) - ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م- مكتبة السنة - القاهرة .

٥٤- مذاهب التفسير الإسلامى - اجنتس جول شيهر - ط (٢) ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - دار إقرأ - بيروت .

٥٥- المرشد الوجيز إلى علوم تتعلق بالكتاب العزيز، أبو شامة المقدسى - تحقيق د. وليد مساعد الطبطبائى - ط (٢) ط (٢) - ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م -مكتبة الإمام الذهبى - الكويت .

٥٦- المعتزلة وأصولهم الخمسة وموقف أهل السنة منها - عواد المعتق - ط (١) ١٤٠٩هـ - دار العاصمة - الرياض .

٥٧- معجم الفرق والمذاهب الإسلامية - د. إسماعيل العربى - ط (١) - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣ م - دار الآفاق الجديدة - المغرب .

٥٨- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم - محمد فؤاد عبد الباقى - ط (٣) ١٤١١هـ - ١٩٩١م - دار الحديث - القاهرة .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner

٥٩- المفسرون بين التأويل والإثبات فى آيات الصفات - محمد بن عبد الرحمن المغراوى - دار المنار - الطرج- الرياض .

٦٠- مقدمة فى أصول التفسير - تقى الدين أحمد بن تيمية - ط (١) ١٩٨٠م - دار مكتبة الحياة - بيرت .

٦١- مناهج فى التفسير - د. مصطفى الصاوى الجوينى -منشأة المعارف - الأسكندرية .

٦٢- مناهج المفسرين - د. منيع عبد الحليم محمود - ط (١) ١٩٧٨م - دار الكتاب المصرى - القاهرة .

٦٣- مناهج المفسرين - د. مساعد مسلم آل جعفر ومحى هلال السرحان - ط (١) - ١٩٨٠م - دار المعرفة - بيروت .

٦٤- مناهل العرفان فى علوم القرآن - محمد عبد العظيم الزرقانى - دار الكتاب المصرى - القاهرة .

٦٥- المورد الزلازل في التنبيه على أخطاء تفسير الظلال- عبد الله بن محمد الدويش - ط (١) - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م - دار السياسة - الكويت .

٦٦- الموسوعة الميسرة فى الأديان والمذاهب المعاصرة - الندوة العالمية للشباب الإسلامى - الرياض - ط (١) - ١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م .

٦٧- نشأة التفسير ومناهجه فى ضوء المذاهب الإسلامية د. محمد بسيونى فوده - ط (١) - ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - مطبعة الأمانة - مصر .

٦٨- همیان الزاد إلى دار المعاد - محمد بن يوسف أطفيش - تحقيق عبدالحفيظ شلبى - (١) - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - وزارة التراث القومى والثقافة - عمان .

الممسوحة ضوئيا بـ CamScanner